عمر الإمام المهدي عليه السلام

في

كفة الحسابات

الشيخ نجم السبتي

عمر الإمام المهدي (ع)
في
كفة الحسابات

هوية الكتاب

اسم الكتاب: عمر الإمام المهدي عليه السلام في كفّة الحسابات

المؤلف: الشيخ نجم السبتي

الناشر: دار المجتبى

الطبعة: الأولى / ١٣٨٤

المطبعة: البرهان

عدد المطبوع: ٢٠٠٠

شابك: 964- 8762-52-X

عمر الإمام المهدي (ع)
في
كفة الحسابات

تأليف

الشيخ نجم السبتي

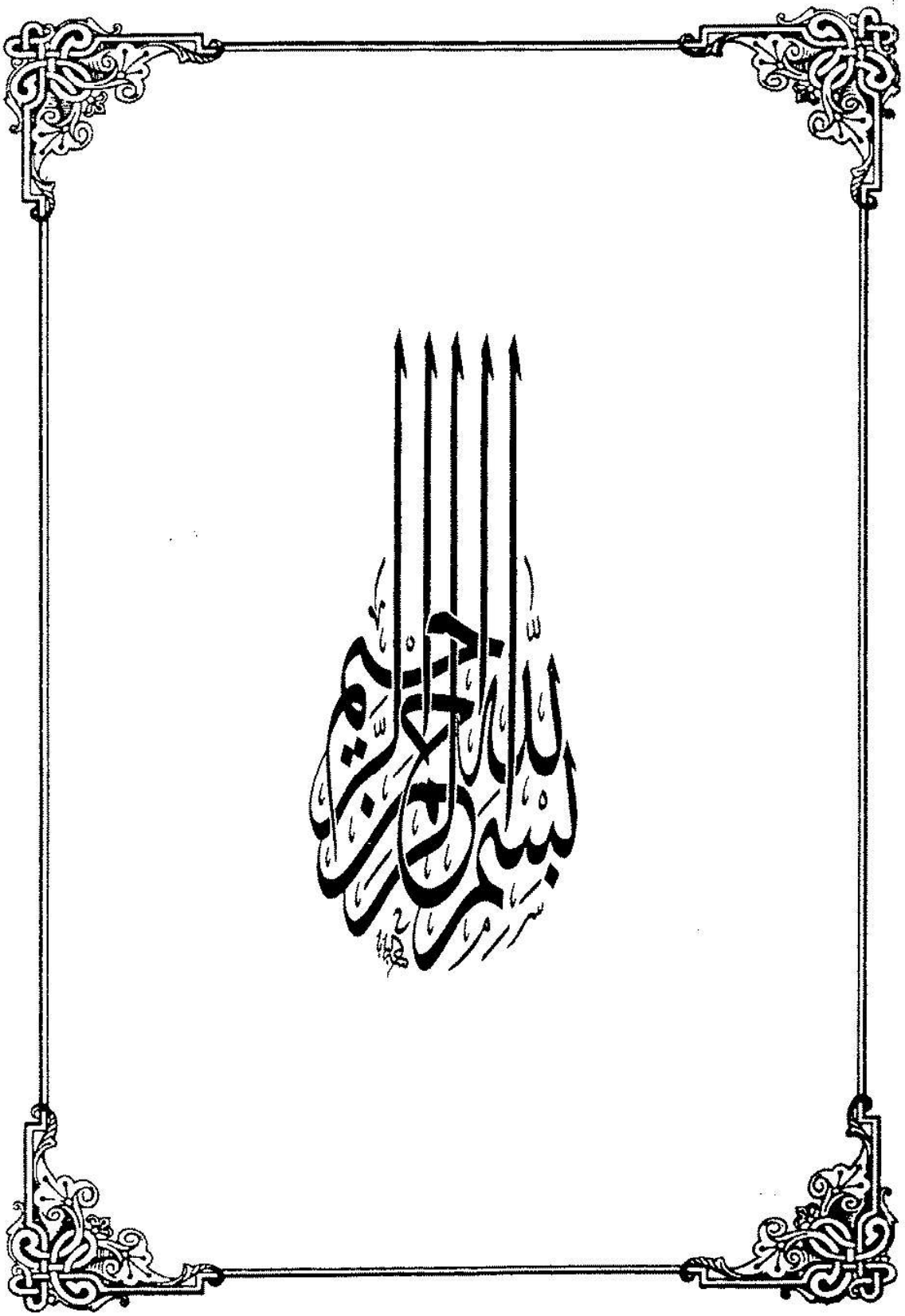
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

غيبة الإمام المهدي (عج) فيها جنبات عدة ، ومن بينها مسألة طول عمر الإمام (عج) ، وذلك لأن للإمام غيبتين ، كما نصت الأحاديث الكثيرة عليهما ، وقد سميت الغيبة الاولى بـ (الصغرى)، والثانية بـ (الكبرى) ، وكان أمد الغيبة الاولى ، من زمن إستلام الإمام المهدي (عج) للإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، إلى إعلان إنتهاء تلك الغيبة ، وذلك عند وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري سنة ٣٢٩ هـ ، فيكون عمر هذه الغيبة ما يقرب من٧٥ سنة ، بإضافة عمر الإمام المهدي (عج) ـ خمس سنوات ـ حين ابتدأ تلك الغيبة ؛ وأما الغيبة الكبرى فابتداؤها من إعلان إنتهاء الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩هـ ، وها هي مستمر حتى ظهور الإمام (عج) ، فيكون عمر الإمام إلى زمان كتابة هذه الكلمات ما يقرب من ١١٧٠ سنة ، وهذا عمر طويل بلا شك .

فوقعت مسألة طول عمر الإمام المهدي (عج) موقع الأخذ والرّد في التشكيك والقبول ، واستراح بعض للقول بأن الإمام المهدي

سوف يولد في آخر الزمان ، وذهب بعض إلى أن عمره الطويل ليس طبيعياً ، بل هو إعجازي ، والإعجاز لا يسأل عنه بـ (لِمَ أو لماذا).

ومن المعلوم أن كلا القولين لا يسدا الأفواه عن ترديد السؤال ، بل هما ليسا بجواب واقعاً وحقيقة ، حتى عند من أبداهما ، حيث إن جواب سؤال ما لابد أن يكون في صلب المسألة ، التي كانت محل السؤال ، دون الذهاب إلى جوانبها ، وفي موردنا محل السؤال عن طول عمر الإمام المهدي (عج) ، ومثل هذا الطول لم يكون متعارفاً عليه الآن ، أو فيما سبق .

فالمسألة المسؤول عنها واضحة ومشخصة ، والقاعدة الفكرية تقول معرفة السؤال نصف الإجابة . والإجابة في موْردنا غير متعذرة ، وذلك بالمراجعة إلى أن العمر الطويل هل رُزقه أحد من البشر قبل الإمام المهدي (عج) ؟ وهل يُرزقه أحد بعده ؟ ، فإن كان الجواب بنعم ، فلابد أن يفرق ما بين العمر الطبيعي لإنسان ما ، وبين ما هو الغالب من العمر لمجموعة أو لبلد أو لزمان ... .

هذا ولابد أن ينظر إلى مسألة العمر من جهة العوامل الهادمة له ، وكذا العوامل المطيلة ، ويرى أيُّ العوامل داخل في إرادة الإنسان ، وأيُّها خارج عنها ، هذا مضافاً إلى النظر لمسألة الأجل ، الذي قدّر للإنسان ، ومن المعلوم أن الإنسان عند حلول أجله يخرج من الدنيا ، لكن أيّ أجل ! هل الأجل الذي قدّر لعمره الطبيعي؟ أم ما يستعجله من الأجل ، لتقصيره بالأخذ للعوامل المطيلة للعمر ، أو يعمل بما يقصره .

ومن المعلوم أن العمر الطويل طبيعي ، وقد حصل لأناس كثيرين ، ولكنه عندما يحصل لإمامنا المهدي (عج) يكون غريباً وغير متعارف ؛ هذا مضافاً إلى الدرجة العلمية في معرفة الأمور ، التي يتمتع بها أئمتنا عليهم السلام ، وأحدهم الإمام الثاني عشر (عج) ، فهو قادر على تشخيص ما يطيل عمره ، إن قدّر له طول العمر في الحياة ، هذا من جانب ومن جانب آخر ، لابد من النظر في عمر الإمامة ، التي تُختم بالإمام المهدي (عج) ، كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك .

النقطة الاولى :

العمر

(الشيخ يكبر ويضعف جسمه ، وقلبه شاب على حب اثنين طول العمر والمال)

الرسول الأكرم ﷺ

لفظ العمر كباقي الألفاظ العربية ، التي تناولتها الصحاح والقواميس وكتب اللغة ، ومن طبيعة البحوث أنّها تدور حول مفاهيم ومعاني ، وكلاهما لا يؤديان إلاّ بالألفاظ ، ولمعرفة حدود اللفظ وطبيعته ، لا بد من المراجعة لمظان ذلك ، نعم لا يمكننا القول بأنّ الرجوع لتحديد اللفظ من صلب البحوث وذاتياتها ، بل هو من المقدمات ، التي لا يمكن الإستغناء عنها في تلك المجالات ، ولذا نتعرض لما جاء في اللغة في خصوص تلك المادة (ع ، م ، ر) وما يرتبط بها .

ففي لسان العرب تحت مادة : (عمر) : العَمْر والعُمُر والعُمْر : الحياة يقال قد طال عَمْرُه وعُمْرُه ، لغتان فصيحتان ، فإذا اقسموا قالوا : لَعَمْرُك ، فتحوا لا غير ، والجمع أَعْمار . وسمي الرجل عَمْراً تفاؤلاً أن يبقى ، والعرب تقول في القسم : لَعَمْرِي ولَعَمْرُك ، يرفعونه بالإبتداء ويضمرون الخبر كأنه قال : لَعَمْرُك قسمي أو يميني أو ما أحلف به ... وفي التنزيل الغزيز : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي**

سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، لم يقرأ إلاّ بالفتح ... وروي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ** ﴾ أي لحياتك، قال: وما حلف الله بحياة أحد إلاّ بحياة النبي ﷺ. وقال أبو الهيثم : النحويون ينكرون هذا ويقولون معنى لَعَمْرُك لدينك والذي تَعْمُر وأنشد لعمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كيف يجْتَمِعان ؟[1]

وقال الأصفهاني في مفرداته تحت مادة : (عمر) العمارة نقيض الخراب ، يقال عَمَرَ أرضه يَعْمُرُها عِمارَة ، قال : ﴿ **وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ يقال عَمَّرتُه فَعَمَرَ فهو مَعْمُور قال تعالى : ﴿**وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ﴾ وأعمرته الأرض واستعمرته إذا فوضت إليه العمارة ، قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ والعَمْرُ والعُمُرُ اسم لِمُدَّة عِمَارَة البدن بالحياة فهو دون البقاء فإذا قيل طال عُمُرُهُ فمعناه عِمَارَة بدنه بروحه وإذا قيل بقاؤُهُ فليس يقتضي ذلك فإنَّ البقاء ضدُّ الفناء ، ولفضل البقاء على العمر وُصِفَ اللهُ به وقلَّما وُصِفَ بالعمر، والتعمير إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدُّعاء قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ * وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ * وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ** ﴾ ...[2] .

---

١ ــ لسان العرب : ج ٤ ص ٦٠١.

٢ ــ مفردات الفاظ القرآن : ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠.

فمـــادة (ع ، م ، ر) ومشـــتقاتها فـــي اللغـــة واضحة في الزيادة ، أو مـــا يـــتأتى مـــنه الـــزيادة ، ومـــن المعلـــوم أنّ الـــزيادة فـــي الأشياء كـــل بحســـبه ، وبمـــا أن أهم الأشياء وأفضلها العمر الإنساني ، وذلك لما يتمـــتع بـــه الإنســـان مـــن مـــنزلة ومكانة ، حيث انفرد بخاصية التعقل ، التـــي تدعـــوه بالاهـــتمام بالـــنفس ومـــا يبقيها فحضي العمر الإنساني عند أبناء البشرية بالحب والتمني .

عـــن أبـــي هريـــرة ، عـــن النبي ﷺ قال : (الشيخ يكبر ويضعف جسمه ، وقلبه شاب على حب اثنين طول العمر والمال)[١] .

عـــن أبـــي عـــبد الله بـــن قـــيس ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله : من خير الناس ؟ قال ﷺ: (من طال عمره وحسن عمله)[٢] .

قال أبو فراس :

مـــا العمر ما طالت به الدهور العمـــر مـــاتم بـــه الســـرور[٣]

وقال الشاعر :

ولذيـــذ الحـــياة أنفـــس في النفس وأشـــهى مـــن أن يمـــلّ وأحلـــى
وإذا الشـــيخ قـــال أف فمـــا مـــلّ الحـــياة وإنمـــا الضعف ملا

١ــ مسند أحمد : ج ٢ ص ٣٣٥.

٢ــ سنن الترمذ : ج ٣ ص ٣٨٧.

٣ــ قرى الضيف : ج ١ ص ١٠٨.

آلــة العــيش صــحة وشــبــاب فــإذا ولــيا عــن المــرء ولى[١]

فوقــع العمــر موقــع الصــدارة للمفاهــيم البشــرية ، فشتغل الفكر البشــري بــتلك المســألة ، وخاصــة عــندما عرف الموت وحاكميته على أفــراد الإنســانية ، وبذلــك ازدادت المســألة خطــورة ، ولذا راح الفكر فــي كــل الأبعــاد ــ الماديــة والمعــنوية ــ لإستقصاء الأسباب والعلل الهادمة للعمر ، وكذا الأسباب والعلل المحافظة عليه .

والمســتبطن فــي ذلــك الإهــتمام ، فطــريّة حب إطالة العمر لــدى البشــر ، فكــل فــرد مــن أبناء البشرية لو جرّد ونفسه ، بمعنى غــض الــنظر عــن الظــروف والأمــور المشــقّية له ، وكــذا الظروف والأمــور المســعدة ، لوجدنــاه محباً لإستمرار بقاء العيش والخلود في تلــك الدائــرة ، التــي بيــن يديــه ، فمفهوم الخلود تعشقه النفوس البشرية بكــل مللهــا ونحلهــا ، وهــذا الخلــود الذي عشقه الإنسان منذ وجد على ســطح الكــرة الأرضــية ليس الخلود الأبدي ، الذي لا يتطرق إليه الفساد ولا يعــتريه الفــناء ، وإنمــا الخلــود الذي هو البقاء على قيد الحياة الدنيا، لأطول ما يمكن من الأعوام .

قــال الراغــب الأصــفهاني فــي مفرداته تحت مادة : (خلد) الخُلُودُ هُــوَ تَــبَرِّي الشــيءِ مــنَ اعــتراض الفَســادِ وبقاؤُهُ عَلَى الحَالَةِ التي هو علــيها ، وكــلُّ مــا يَتَــباطأُ عــنه التغيــيرُ والفسادُ تَصِفُهُ العَربُ بالخُلودِ

١ــ قرى الضيف : ج ١ ص٢٩٢.

كقولهم للأثافي[١] خوَالِدُ ، وذلك لطُول مُكْثِهَا لا لِدَوامِ بقائِهَا . يقالُ خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُوداً ، قال تعالى : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** ﴾ والخَلْدُ اسمٌ للجُزْءِ الذي يبقَى منَ الإنسانِ علَى حالَته ، فلا يَستحيلُ ما دَامَ الإنسانُ حيًّا استحالةَ سائر أجزَائه ، وأصل المُخلَّد الذي يبقى مدَّةً طويلةً ومنهُ قيلَ رَجُلٌ مُخلَّدٌ لِمَنْ أبطأ عنهُ الشيبُ ، ودابةٌ مُخلَّدةٌ هي التي تَبْقَى ثَنَاياهَا حتى تَخْرُجَ رَبَاعيَّتها ، ثم استعِير لِلْمَبقِيِّ دائماً ، والخُلودُ في الجنّة بقَاءُ الأشياءِ علَى الحَالة التي عليها منْ غَيْرِ اعتراضِ الفسَادِ عليها ، قال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ** ﴾ قيلَ مُبقُونَ بحَالتِهم لا يَعتَريهمُ استِحالَةٌ ، وقيلَ مُقَرَّطونَ بخَلَدَةٍ ، والخَلَدَةُ ضَرْبٌ منَ القُرطةِ ، وإخلادُ الشيءِ جعلُهُ مُبْقى والحكمُ عليه بكونه مُبقى ، وعَلَى هذا قولُهُ سبحانه : ﴿ **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ أي ركنَ إليها ظانًّا أنه يَخلُدُ فيها[٢] .

فالخلود بمفهومه محبوب عند الإنسان ، وشدة الحب لذلك المفهوم لم تدع الإنسان يميز بين الخلود الذي بمعنى البقاء لمدة من الزمن ، وبين الخلود الأبدي ، والتميز بينهما من المسائل المهمة في

---

١ ــ الأثافي : جمع الأثفية بالضم والكسر ــ على أفعولة ــ وهي الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها . مجمع البحرين : ج ١ ص ٣١٣ .

٢ ــ مفردات الفاظ القرآن : ص ١٥٥.

سير الإنسان التكاملي ، وليس مورد بحثنا في ذلك ، وإنما كلامنا في نفس المفهوم ــ الخلود ــ الذي بالمعنى الأوسع ، والجدير بالذكر أن حب الخلود عند أفراد الإنسانية فطري ، ومن أبرز علامة فطريّته ، أنّ الجميع مشترك فيه ، ساع إليه بكل ما أتي من حول وقوة ، ويشهد لما قلناه أنّ القرآن عندما يوعد بثواب ، أو يتوعّد بعقاب ، ينوطهما بالخلود ، فالثواب والعقاب بنفسيهما لا يكفيان ، حيث يمكن ترك الثواب إن لم يكن خالد ، وتحمل العذاب إن كان لأمد محدد ، وأما عندما يكونا خالدين ، فلا مجال للوقوف عندهما ، بل لا بد من الوقوع في أحدهما ، وذلك لسعي الإنسان الفطري تجاه أحد الطريقين.

قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ**

١ــ سورة النساء : آية ١٣.

٢ــ سورة النساء : آية ١٢٢.

لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[١] .

ومما جاء في آيات العذاب :

قولـــه تعـالى : ﴿ فَـادْخُلُوا أَبْـوَابَ جَهَـنَّمَ خَالِدِيـنَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٢] .

وقولـــه تعـالى : ﴿ إِلاَّ بَلاغـاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾[٣] .

وقولـــه تعـالى : ﴿ وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا وَكَذَّبُـوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٤] .

هـذا والقـرآن لـم يـترك الـتعرض للجانـب الآخر ، من الحالة النفسـية ، التـي بـات علـيها أغلـب الـناس ، وهي الاستعجال بالأخذ بـالخلود ، وإن كـان ذلـك الخلـود ليس هو الخلود الأبدي ، فالغالب على أفـراد البشـرية الـركون للحـياة الدنيا ، والتمسك بعراها ، تصوراً منهم بإمكـان الـبقاء علـى قـيدها أبـدا ، ونقـول تصوراً ليس جزافاً ، وذلك لإرتكازيـة حـب الخلـود في نفوسهم ، وإلاّ معلوم عند الإنسان أن الحياة الدنـيا لـم تكـن محـلاً لخلـود أحـد ، وإن عمّر ما عمّر ، ولكن النفس ومكـرها بأصـحابها ، توهمهـم أن اللحظـة التـي يعشـونها ، مع أمل

١ــ سورة البينة : آية ٨ .

٢ــ سورة النحل : آية ٢٩.

٣ــ سورة الجن : آية ٢٣.

٤ــ سورة التغابن : آية ١٠.

مجيء اللحظة الثانية ، وهكذا ، هو الخلود المنشود .

قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾[٣] .

فتبين من خلال ذلك كله مفهوم العمر ، وأهميته ، وأن فيه طول وقصر ، وأن فيه خسارة وكسب .

العمر = حياة الإنسان

١ــ سورة الأعلى : آية ١٦.

٢ــ سورة القيامة : آية ٢٠.

٣ــ سورة ابراهيم : آية ٣.

النقطة الثانية :

حساب عمر الإنسان

قال عمر : متى نكتب التأريخ ؟ فجمع المهاجرين ، فقال له علي عليه السلام : من يوم هاجر النبي صلى الله عليه وآله وترك أرض الشرك ...

تعارف لدى البشر من أوائل وجودهم على سطح الكرة الأرضية ، حساب الزمن ، فوجدت له أنواع كثيرة ، ومن أشهرها السنة الشمسية ملادية وهجرية ، والقمرية الهجرية ، وذلك لإختلاف الناس في اتخاذ آلية مقياس الحساب ، فمنهم من بنى حسابه على سير الشمس والكواكب الأخرى ، ومنهم من بنى على سير القمر ، وقد أشار القرآن الكريم لكلا الأمرين .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ ... **وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ...** ﴾ [2] .

هذا مضافاً لإختلافهم في لغاتهم وأماكنهم وللظروف (البيئية والإقتصادية والإجتماعية ...) ، التي يعيشونها ؛ وقد أخذ حساب

١ــ سورة الحجر : آية ١٦.

٢ــ سورة يونس : من الآية ٥ .

الزمن ومعرفته عندهم المكانة العليا ، وذلك لإرتباطه بالأمد المضروب لبقائهم على قيد الحياة .

وكانت حسابات الزمن عند البشر تعتمد على حادثة ما ، ولكن يشترط فيها أن تكون معلومة لدى المجموعة البشرية ، التي تريد أن تؤرخ لنفسها ، فيأخذوا بالحساب من تلك الحادثة ، مع الإرتباط بطلوع الشمس وغروبها ، وبدوران الأرض حول الشمس بفصولها الأربعة ، مضافاً لمنازل الكواكب الأخرى ، فتكون سنتهم شمسية ، وإما بالإرتباط بدوران القمر حول الأرض ، فتكون السنة قمرية .

ينقل الزهري والشعبي أنه لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر ولده ، أرخ بنوه هبوط أدم عليه السلام فكان ذلك التأريخ ، حتى بعث الله نوحاً عليه السلام فأرخوا ببعث نوح عليه السلام ، حتى كان الغرق فكان التأريخ من الطوفان ، إلى نار إبراهيم عليه السلام فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم عليه السلام إلى بعث يوسف عليه السلام ، ومن بعث يوسف إلى بعث موسى عليه السلام ، ومن بعث موسى عليه السلام إلى ملك سليمان عليه السلام ، ومن ملك سليمان إلى بعث عيسى عليه السلام ، ومن بعث عيسى إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأرخ بنو اسرائيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فكان التأريخ من بناء البيت، حتى تفرقت معد ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا مخرجهم ، حتى مات كعب بن لؤي ، فأرخوا من موته إلى الفيل ، فكان التأريخ من الفيل ، حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة ،

وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة [١] .

فالحاجة إلى معرفة وحدات الزمان مما لا تنكر ، حيث بها إنتظام أمر الناس ، وبدون تشخيص وحدات الزمن بأي شكل كانت ، يقع الهرج والمرج بين أفراد البشر ، فالجميع مشتركون ، بل ومتفقون ، على الحاجة لمعرفة وحدات الزمن وسيره ، وتلك الحاجة تدعو الإنسان لإتخاذ أمر ما نقطة إنطلاق لحساب الوحدات الزمنية ، فمعرفة الزمان ، وكيفية حسابه ، دائرة بين أهمية نفس الحساب عند الإنسان ، وبين الحاجة له .

عن ميمون بن مهران قال : رفع إلى عمر صك محله شعبان ، فقال : أي شعبان ، الذي يجيء ، أو الذي مضى ، أو الذي هو آت ؟ ثم قال لأصحاب النبي ﷺ : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه من التأريخ...[٢] .

وينقل أن الذي أشار على عمر بنقطة ابتداء تأريخ المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام ، عندما جمع صحابة النبي ﷺ لذلك .

عن ابن المسيب : قال عمر متى نكتب التأريخ ، فجمع المهاجرين فقال له علي عليه السلام : من يوم هاجر النبي ﷺ وترك أرض الشرك ، ففعله عمر ...[٣] .

١ــ الدر المنثور : ج ١ ص ١٥١.

٢ــ كنز العمال : ج ١ ص ٣١٣ / ٢٩٥٦٥.

٣ــ بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢١٨.

وبعد ما تبين أنّ معرفة وحدات الزمن ، وكيفية حسابه ، من مرتكزات البشر ، وأنّ لهم في ذلك طرق وأساليب ، وقد قام بعض بتخطيئ طريقة بعض ، وسلك قوم طريقة ، غير التي كانت عند من سبقهم ، ولمعرفة ذلك نحتاج إلى خبرة اصحاب الإختصاص ، وبما أنّا ليس في صدد ذلك ، وإنما أردنا التعرض إلى مرتكزات أفراد الإنسانية في مجال الحسابات الزمنية ، مضافا إلى حاجتهم ، فيمكننا القول بأنّ أي إنسان ، وتحت أي طريقة من حساب الزمن ، محب لقطع أكبر كمية من الوحدات الزمنية .

قال تعالى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾[١] .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (الشيخ شاب في حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال)[٢] .

فتبين أنّ الشيء الأساسي عند الإنسان ، ليس هو حب نفس طريقة حساب الزمن ، وإنما المحبوب طول الحياة ، ولا يخرج عن هذا الطور من الحب ، إلاّ لعارض تولّده قساوة الظروف (الإجتماعية، المالية ، السياسية ...) ، وعند زوال العارض يعود سراعاً ، إلى مرتكزه الأصلي في حب إطالة العمر .

١ــ سورة البقرة : آية ٩٦.

٢ــ مسند أحمد : ج ٢ ص ٣٧٩.

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

سـئمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[١]

ويشهد لما قلنا أن الإنسان حريص على ما يمنحه طول الحياة، ولذا ذهب كل بحسب ما تمليه عليه معتقداته ، ورؤيته الكونية ، فأخذ كل يتتبع الأسباب المطيلة للحياة ، وتجنب كل ما هو مهلك وفانٍ لها، ولو احتمالاً .

١ــ خزانة الأدب : ج ٢ ص ٤٢٢.

النقطة الثالثة :

العوامل المؤثرة في إطالة العمر

سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله ﴿ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ، قال : (هما أجلان ، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم) .

الحياة التي نعيشها حكمت بالأسباب والمسببات ، وكل أمر مسبب لابد له من سبب سبقه في الوجود ، ولو بسبق رتبي دون الزماني ، والسيرة العقلائية عرفت ذلك من أقدم عصورها ، بل من ينكر ذلك يعدّ في نظرها شاذ عن الطبيعة العقلائية .

وإطالة العمر والبقاء على قيد الحياة شئ من الوجودات ، وهو بذلك لا يخرج عن دائرة الموجودات ، في إفتقارها إلى علة وسبب ، يعطيها الوجود ، وفي هذه النقطة من البحث نود التعرض ، ولو بنحو الإختصار للأسباب والعلل المطيلة للعمر .

السبب الاول : الغذاء ومستلزمتها

الإنسان كباقي المخلوقات ، بل وأوضحها في الميل إلى طلب الغذاء ، وقد عرف هذا الميل لديه من أقدم عصوره ، فإثبات سعيه إليه لا يحتاج إلى دليل ، بل وخارج عن دائرة الإمكان ــ ما بين الوجود والعدم ــ لوقوعه خارجاً ، بل الوقوع الخارجي له على نحو

تعـدد أفـراد الإنسـانية ، حيـث لـم يسمع بإنسان عاش من غير غذاء ، فالأمـر فـي طلـب الغـذاء لا يحـتاج إلـى كثـير مؤنـة فـي البيان والإسـتدلال، وبمـا أن أمـر الغـذاء والطعام واضح لدى الإنسان ، فجُعل أمر يستدل به على غيره .

قـال تعـالى : ﴿ **فَلْيَـنْظُرِ الأِنْسَـانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَـبّاً * ثُـمَّ شَـقَقْنَا الأَرْضَ شَـقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْـتُوناً وَنَخْـلاً * وَحَدَائِـقَ غُلْـباً * وَفَاكِهَـةً وَأَبّـاً * مَـتَاعاً لَكُـمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾[1] .

وأهمـية الغـذاء ممـا لا تـنكر ، ففيه قوام هيئة الإنسان وبقاؤه ، حيـث إن الأعضـاء الماديـة فـي جسم الإنسان تحتاج إليه ، كي تواكب مسـيرتها فـي العطـاء والفاعلـية ، فـبقاء الإنسـان حياً لابد أن يسبقه مستلزمات ذلك ، ومن أفرادها وجود الغذاء في ساحته ومعرفته به .

وحاجـة الجسـم للغـذاء فـي الإسـتمرارية والحـيوية من خواص الجسـم المـادي ، سـواء كان ذلك الجسم لصغير أم كبير ، انثى أم ذكر، رسول أم مرسل إليه .

قـال تعـالى : ﴿ **وَمَـا جَعَلْـنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** ﴾[2] .

وقد جاء في اللغة :

١ــ سورة عبس : من آية ٢٤ إلى آية ٣٢.

٢ــ سورة الأنبياء : آية ٨.

الغـــذاء : مـــا يـــتغذى بـــه مـــن الطعـــام والشراب ، يقال : غذوت الصبي باللبن فأغتذى ، أي ربيته به[١] .

وفـــي لســـان العـــرب : غـــذا: الغذاء ما يتغذى به ، وقيل ما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب واللبن[٢] .

فالمـــيل للغـــذاء مـــن كمـــالات الأجســـاد المادية ، ولذا تعارف عند العقـــلاء الســـعي خلـــف الأســـباب ، التـــي توفر الغذاء وتؤمنه ، وللأمور والمستلزمات ، التي تظهره بألذ وأطعم صورة .

قـــال تعـــالى : ﴿ **لَـــيْسَ عَلَـــى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[٣] .

فالســـعْي خلـــف الغـــذاء لتحصـــيله وتحضـــيره ليس معيباً ، بل من يقصّـــر فـــي ذلـــك تجـــاه نفسه ، أو لمن تحت تكفله يُخطّأ عرفاً وشرعاً ، فتحصـــيل القـــدر المبقـــي لحياة الجسم من الغذاء واجب على القادر ، وقد ســـعى الإنســـان فـــي تحصـــيل الغـــذاء علـــى مرّ العصور ، وفي جميع الـــبقاع ، التـــي أمكـــن الوصـــول إليها ، والملاحظ في مسيرة الإنسان في هـــذا المجـــال أن ســـعيه للغـــذاء وتحضيره يتدرج سلّم الأفضلية للنوعيّة ، والوســـائل ، والصـــحة ... ومـــا ذلـــك إلاّ لتطور الفكر عنده ، بالإطلاع وطـــول الـــتجربة ، فاعـــتمد الإنســـان فـــي أول عصـــوره على الصيد ،

١ــ الصحاح : ج ٦ ص ٢٤٤٥.

٢ــ لسان العرب : ج ١٥ ص ١١٩.

٣ــ سورة المائدة : من الآية ٩٣.

وتجميع المواد النباتية ، ولم يعرف آنذاك أساليب جيدة لحفظ الطعام ، فيحتم عليه الأمر أن يتناول الصيد والطعام القابل للتلف سريعاً حال حصوله عليه ، ولم يُعرف في تلك العصور وسائل للصيد ، إلاّ البسيط منها كالجري خلف الحيوان ، والقذف بالحجر ، والرمي بالرماح والسهام ، ثم أخذ بالتطور في كل جوانبه كنوعيّة الغذاء ، وأساليب الصحة ، ووسائل الصيد والخزن والتربية ... .

فالغذاء بنفسه حاجة للإنسان لحفظ بدنه من الإضمحلال ، والتأكل للأعضاء ، فبقاء البدن حياً منوطاً ببقاء الغذاء ووجوده ، ويشهد لهذا أن الإنسان في حالة عدم وجدان الطعام والغذاء يأكل ما لا يشتهيه ، بل يأكل ما لم يكن يعدّه من الطعام ، والشرائع السماوية مع أنها حرمت على الإنسان بعض الأطعمة ، لما فيها من ضرر عليه ، لكنها جوزت له تناولها عند الإضطرار كتوقف الحياة على الأطعمة المحرمة ، عند فقدان المحللة ، أو للدواء ، أو لغصب الظالم عليها ...[1] ؛ هذا بالنسبة للغذاء كحاجة يتوقف عليها حياة بدن الإنسان .

وللغذاء طور آخر يكمن في إعطاء البدن فاعلية أكثر ، وذلك

١ــ ومن اللواحق النظر في حال الاضطرار ، وكل ما قلناه بالمنع من تناوله ، فالبحث فيه مع الاختيار ، ومع الاضطرار يسوغ التناول ، لقوله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عليه﴾ ، وقوله : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ ، ولقوله : ﴿ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ . شرائع الإسلام : ج ٤ ص ٧٥٧ .

من خلال المعرفة بنوعيّة الأغذية وما تحتويه من طاقات (vitamines) ، مضافاً إلى معرفة ما يلائم البدن ، فالأبدان مختلفة في نوعيّتها وحجمها وأحوالها ، وهذا الجانب من جوانب الغذاء من مختصات علم الطب .

فقد حكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ، ليس في كتابكم من علم الطب شئ ، والعلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان ! فقال له علي : قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ ، وجمع نبينا ﷺ العلم في قوله: (المعدة بيت الداء ، والحِمَية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته). فقال الطبيب : ما ترك كتابكم ، ولا نبيكم لجالينوس طباً [١] .

وقال ابن خلدون : (هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإنَّ ثمرتها حفظ الصحة للاصحَّاء ودفع المرض عن المرضى ...)[٢] .

وقد قطع هذا العلم أشواطاً في التقدم ، بل وله قفزات كبيرة في الرقي ، ومن أبرزها أنه بعد ما كان مجموعة قواعد يمكن للفرد أن

١ــ تفسير مجمع البيان : ج ٤ ص ٢٤٤.

٢ــ مقدمة ابن خلدون : الفصل التاسع والعشرون في صناعة الطب ... ص ٤١٥.

يحويهـا درايـةً وتطبـيقاً ، أصـبح علماً واسعاً ، فانفتح مجال التخصص فـيه ، كـي تـتم السـيطرة من قبل المشتغلين ، بل أصبح التخصص في عضـو واحـد مـن أعضـاء المـريض ، فضـلا عـن التخصـص في الأعضـاء ، فالبصـر أحـد أعضـاء الإنسـان وكان محل الإختصاص ، حـتى غـدا محـل للتخصـص كالتخصـص فـي الشـبكية والصـلبة والمشيمة... .

والكـلام كـل الكـلام فـي أن الغـذاء الصحيح هل يمكنه أن يمنح الإنسـان عمـراً اطـول ؟ والأفضـل في بيان ذلك أن ننقل شيئاً مما جاء فـي مقالـة المقـتطف فـي الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين في ذيل عنوان : (هل يخلد الإنسان في الدنيا ؟) .

(فقـد تمكـن أحـد الجراحيـن مـن قطع جزء من حيوان وإبقائه حـياً، أكـثر مـن السـنين التـي يحياها ذلك الحيوان عادة ، أيّ صارت حـياة ذلـك الجـزء مرتـبطة بـالغذاء ، الـذي يقدم له بعد السنين التي يحـياها ، فصـار فـي الإمكـان أن يعـيش إلى الابد ما دام الغذاء اللازم موفوراً له .

وهـذا الجـراح هـو الدكـتور الكس كارل من المشتغلين في معهد ركفلـر بنـيويورك ، وقـد امتحـن ذلـك فـي قطعة من جنين الدجاج ، فبقيـت تلـك القطعـة حـية نامـية أكثر من ثماني سنوات ، وهو وغيره إمتحـنا قطعـاً مـن أعضـاء جسـم الإنسان من أعضائه وعضلاته وقلبه وجلـده وكليتـيه فكانـت تـبقى حـية نامية ، مادام الغذاء اللازم موفوراً لهـا، حـتى قـال الإسـتاذ ديمـند وبرل من أساتذة جامعة جونس هبكنس

أن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان قد ثبت إما أن خلودها بالقوة صار أمراً مثبتاً بالإمتحان ، أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الأن ، وهذا القول غاية في الصراحة والأهمية على ما فيه من التحرس العلمي ، والظاهر أن أول من إمتحن ذلك في أجزاء من جسم الحيوان هو الدكتور جاك لوب ، وهو من المشتغلين في معهد ركفلر أيضاً ، فإنه كان يمتحن توليد الضفادع من بيضها إذا كان غير ملقح ، فراى أن بعض البيض يعيش زماناً طويلاً، وبعضها يموت سريعاً ، فقاده ذلك إلى إمتحان أجزاء من جسم الضفدع ، فتمكن من إبقاء هذه الأجزاء حية زماناً طويلا ، ثم أثبت الدكتور ورن لويس وزوجته ، أنه يمكن وضع أجزاء خلوية من جسم جنين الطائر في سائل ملحي ، فتبقى حية وإذا أضيفت إليه قليل من بعض المواد الآلية ، جعلت تلك الأجزاء تنمو وتتكاثر ؛ وتوالت التجارب فظهر أن الأجزاء الخلوية من أيّ حيوان كان يمكن أن تعيش وتنمو في سائل فيه ما يغذيها ، ولكن لم يثبت حينذ ما ينفي موتها إذا شاخت . فقام الدكتور كاول وجرب التجارب المشار إليها آنفاً ، فأثبت منها أن هذه الأجزاء لا تشيخ الحيوان الذي أخذت منه ، بل تعيش أكثر مما يعيش هو عادة ، وقد شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير ١٩١٢م ، ولقي عقبات كثيرة في سبيله ، فتغلب عليها هو ومساعدوه ، وثبت له .

أولاً : أن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها ، أما من قلّة الغذاء ، أو من دخول بعض المكروبات.

وثانياً : أنها لا تكتفي بالبقاء حية ، بل تنمو خلاياها وتتكاثر ، كما لو كانت باقية في جسم الحيوان .

وثالثاً : أنه يمكن قياس نموها وتكاثرها ومعرفة إرتباطها بالغذاء الذي يقدم لها .

ورابعاً : أن لا تأثير للزمن أيّ أنها لا تشيخ وتضعف بمرور الزمن ، بل لا يبدو عليها أقل أثر للشيخوخة ، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة ، كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين ، وتدل الظواهر كلّها على أنها ستبقى حية نامية ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها ، وتقديم الغذاء الكافي لها ، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً بل هي نتيجة)[1] .

فمراعاة الإنسان للغذاء نوعيّة وكميّة من شرائط الصحة للبدن، تلك الصحة التي بها تحيى الأبدان ، وتبقى فعّالة ما قدر لها من العمر في عالم الدنيا .

قال الدكتور صبري القبّاني في كتابه الغذاء لا الدواء : (فالعبرة ليست في كمية الطعام الداخل إلى الفم ، بل في محتواه ، ومدى غناه بالعناصر ، التي يحتاج إليها الجسم ، من أملاح معدنية وفيتامنات ، وعوامل منشطة أو مهضمة)[2] .

١ــ نقلاً عن كتاب منتخب الاثر : ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠.

٢ــ الغذاء لا الدواء : ص ٦١٠.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا تنافي بين الإهتمام أو التوصّية بالغذاء ، وبين الأجل المضروب لبقاء الإنسان في دار الدنيا ، وذلك أن أجل الإنسان شيء قائم بنفسه ، راجع أمره إلى خالق النفوس وبارئها ، وقد جعل لحلوله أسباب كالموت والقتل والغرق والحرق... ومن بين تلك الأسباب المرض ، فكما أن الإنسان بتعلّمه السباحة يدفع عن نفسه لائمة موت الغرق ، فكذلك الغذاء بمراعة شرائطه ، تندفع عن الإنسان غائلة الموت بإختلال المزاج .

قال العلامة الطباطبائي : (فالتركيب الخاص الذي لبنية هذا الشخص الإنساني ، مع ما في أركانه من الإقتضاء المحدود ، يقتضي أن يعمّر العمر الطبيعي ، الذي ربما حدوده بمائة ، أو بمائة وعشرين سنة ، وهذا هو المكتوب في لوح المحو والإثبات مثلاً ، غير أن لجميع أجزاء الكون ارتباطاً وتأثيراً في الوجود الإنساني ، فربما تفاعلت الأسباب والموانع ، التي لا نحصيها ، تفاعلاً لا نحيط به ، فأدى إلى حلول أجله قبل أن ينقضي الأمد الطبيعي ، وهو المسمى بالموت الإختراعي)[1] .

وسوف يأتي توضح أكثر في مسألة الأجل إن شاء الله تعالى .

فتبين أنّ مراعاة الغذاء ليس إلهاً بيده أجل الإنسان ، وإبقائه خالداً في دار الدينا ، وإنما هو سبب من الأسباب ، ومقدمة من المقدمات ، التي بإمكانها أن تمنح الإنسان الصحة ، فلا يأتيه الموت

١ــ تفسير الميزان : ج ٧ ص ١٠.

جراء التقصير فيها ، لا أنه لا يأتيه الموت من سبب أخر ، فإنّ أسباب الموت متعددة .

جاء في مقالة المقتطف : (ولكن لماذا يموت الإنسان ، ولماذا نرى سنيه محدودة لا تتجاوز المأة ، إلاّ نادراً جداً ، وغايتها العادية سبعون أو ثمانون ؟ والجواب أنّ أعضاء جسم الحيوان كثيرة مختلفة، وهي مرتبطة بعضها ببعض إرتباطاً محكماً ، حتى أنّ حياة بعضها تتوقف على حياة البعض الآخر ، فإذا ضعف بعضها ومات لسبب من الأسباب ، مات بموته سائر الأعضاء ناهيك بفتك الأمراض المكروبية المختلفة ، وهذا مما يجعل متوسط العمر أقل جداً من السبعين أو الثمانين ، لا سيما وأنّ كثيرين يموتون أطفالاً ، وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة أنّ الإنسان لا يموت لأنّه عمّر كذا من السنين سبعين أو ثمانين أو مأة أو أكثر ، بل لأنّ العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها ، ولإرتباط أعضائه بعضها ببعض ، تموت كلّها ، فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض ، أو يمنع فعلها ، لم يبقى مانع يمنع إستمرار الحياة مئات من السنين ، كما يحيى بعض أنواع الأشجار ، وقلما ينتظر أن تبلغ العلوم الطبية والوسائل الصحية هذه الغاية القصوى ، ولكن لا يبعد أن تدانيها فيتضاعف متوسط العمر أو يزيد ضعفين أو ثلاثة ...)[1] .

فمراعاة الغذاء ومستلزماته ، فيها حفظ البدن من التأكل

١ــ نقلاً عن كتاب منتخب الاثر : ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠.

والفساد، وهذا جانب من جوانب عدة ، تؤدي مراعاته إطالة العمر والعيش الهني .

السبب الثاني : البيئة وأحوالها :

الطبيعة التي نعيشها بما تحمل من مكونات كالهواء والماء والأشجار والأنهار والبحار والسواحل والجبال والأودية والصحاري والقفار والتلال والهضاب ... لها وقع في نفوس البشر ، بل أن كل من أقسامها له وقع غير الآخر ، ولذا يميل الإنسان بطبعه إلى أن يرى كل أقسامها ، بل وله ميل لو اتيحت له الفرصة أن يعيش بكل قسم منها ، ولو لبرهة من الزمن ، هذا مع إنشداده للمكان الذي إعتاد على سكناه ، أو كان فيه مسقط رأسه ، وبما أن في أغلب الأحيان لا توجد مندوحة لدى الإنسان أن يدرك كل ذلك ، فلجأ للرسم والتصويو لأقسام البيئة ، ثم تعليقها على الجدران ، وهذا من المعلوم أقل ما يمكن أن يفعله تجاه طبعه ، الذي يلح عليه بالتزود من الطبيعة بأقصى ما يمكن .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ**

١ــ سورة الكهف : آية ٧.

اللَّـهُ مِـنَ السَّـمَاءِ مِـنْ مَـاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُـلِّ دَابَّـةٍ وَتَصْـرِيفِ الـرِّيَاحِ وَالسَّـحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

نعـم يوجـد عـند الإنسـان تفضيل لبعض أقسام البيئة على بعض ، ولعـل التصـور السـاذج يفهـم أن ذلـك ناشئ من لا سبب ، أو لمجرد الميـل لـيس إلاّ ، والصـحيح أن لذلـك سبب واضح ، والسبب كامن في نفـس الإنسـان ، بـل ومـن مرتكزاته ، حيث إن التفضيل لبعض الأقسام نـاتج ، عمـا تحويـه مـن مميزات ، لها دخل مباشر في حياة الإنسان ، سواء لنفسه ، أو لمستلزماته كعمله ، وزرعه ، وأنعامه ... .

وليكـن مـن المعلـوم أن البيـئة والطبـيعة وإن قلـنا إن الإنسان بطـبعه منشـد تجاهها ، وذلـك لتغلـب آثارها الإيجابية على السلبية ، فإنـنا لـم نـدع أن الطبـيعة إيجابـية بكـل أقسامها ، أو بأي درجة من درجـات أقسـامها ، فالمـاء فـيه من المنافع ما لا يعد ، ولكن في اقسامه ودرجاتـه مـا يغـرق ويهـدم ويـتلف ... فالجانـب السـلبية في أقسام الطبـيعة موجـود ، وليـته يقـف عند الضرر المادي للإنسان ، بل يتعدى إلـى الجانـب المعـنوي مـنه ، فالمسـافر إلى منطقة جميلة متفق على حسـنها ، ومـرض هـناك ، أو تعـرض لحادث ما عكر مزاجه ، فالألم المـادي فـي جسـده وإن إنـتهى ، ولكـن الألـم المعـنوي باقٍ ، حيث يتضـجر ولا يـبدي إرتـياح عـندما يـتذكر تلك المنطقة ، أو عندما يمرّ

١ــ سورة البقرة : آية ١٦٤.

اسمها عليه ، فالمنطقة لم يتغير حسنها ، بل لعل حسنها في زيادة ، ولكن هذا الإنسان غلب عليه أثر الحادث ، فغطى على حسن المنطقة عنده .

ومن مخلفات الأمور السلبية لبعض المناطقة ، أو المياه بأنهارها وبحارها .. ، أو للهواء بأنواعه إنعكاسات على تسميتها .

فيقال في تسمية تهامة ، والتي تسمى بالغور أيضاً ، وهي الأراضي التي على شاطئ بحر القلزم ، ممتدة عرضاً إلى سلسلة جبل السرة ، وسموها تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، حيث إن شدة الحر وركود الريح يسمى تهم ، فيقال تهم الحر إذا إشتد ، وأما تسميتها بالغور لإنخفاض أرضها [1] .

فالإطلاع على المناطق والأماكن ، وتناول شرب المياه أو ركوبها ، أو مشاهدتها ، والعيش في أنواع الرياح والهواء ... مما هو محبوب عند الإنسان ، ولكن هذا شئ والخصائص الجيدة والرديئة لأقسام الطبيعة شئ آخر .

وبما أن بحثنا في الجانب الثاني للطبيعة ــ إيجابياتها وسلبياتها ــ فنتعرض له ولو بنحو الإشارات ، وإلاّ فهو من العلوم الواسعة ، وفيه تخصصات كثيرة ، وله تأريخ قديم وجديد ، بحسب تطور الإنسان بفكره ووسائله .

١ــ معجم البلدان : ج٢ ص ٦٣ ، ج ٤ ص ٢١٦.

وبعد ما تبين أن للطبيعة أقسام عدة ، ولكل قسم مميزات وخصائص مفيدة ، سواء تجاه الإنسان أو غيره ، ومميزات رديئة كذلك ، وبما أن كلامنا في إمكانية طول عمر الإنسان ، فنود أن نرى ألأقسام الطبيعة دخل في إطالة عمر الإنسان ؟ أم أن أنها خالية منه .

وقبل بيان ذلك نطلع على شئ يسير من خصائص بعض أقسام الطبيعة :

الماء:

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ ﴾ [١] .

الماء بنوعيه الصالح للشرب وغير الصالح يغطي ما يقارب ثلاثة أربع الكرة الأرضية ٧١% ، وبنفس هذه النسبة يقدر ما في جسم الإنسان من الماء ، فوجود الماء في كلا المحلين (في الطبيعة وجسم الإنسان) يكفي لبيان أهميته وحاجته بالنسبة للإجسام الحية وغير الحية ، هذا ماضافاً إلى كثرة تعرض القرآن له بخلاف تعرضه للسيابس (البر) من الأرض ، فقد ذكر في القرآن الكريم البحر في ٣٢ آية [٢] ، مع أن اليابس (البر) ذكر ١٣

١ــ سورة الأنبياء : من الأية ٣٠.

٢ــ سورة النور: آية ٤٠، سورة الكهف : آية ٦١ ، سورة الكهف : آية ٦٣، سورة الكهف : آية ٧٩، سورة الكهف : آية ١٠٩، سورة لقمان : آية ٢٧، سورة لقمان ٣١ ، سورة البقرة : آية ٥٠ ، سورة البقرة : آية ١٦٤، =

مـــرة [١] ، وقـــد أشـــارت بعـــض الإحصـــاءات إلـــى أن مقـــدار المياه الصـــالح للشـــرب مـــن مجمـــوع مياه الأرض إلى ٣٥ مليون كلم مكعب ، ويقـــال أن نســـبة ٦٨% مـــن تلـــك المـــياه محفوظة في جموديات القطب الجنوبـــي وجزيـــرة غريـــنلاند ، و٣٠% موجـــود فـــي القشرة الأرضية الصخرية ، فما هو مستغل من المياه العذبة لا يتجاوز ٣% .

وأمـــا الحاجـــات المهمـــة والواضـــحة للإنسان من المياه ، فيقال أن الإنســـان لا يمكـــنه الإســـتغناء عـــن شرب الماء لمدة تتجاوز ٤٨ ساعة ، وذلـــك لأن عملـــية الهظـــم عـــند الإنســـان يصحبها فرز سموم وأبخره ، وهـــذه تحـــتاج إلـــى مخـــرج يخـــرجها مـــن الجسم ، وإلاّ أفقدته الحياة ،

=سـورة المـائدة : آيـة ٩٦ ، سـورة الأعراف : آية ١٣٨، سورة الأعراف: آيـة ١٦٣، سـورة ابراهـيم : آيـة ٣٢، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٦، سورة الإسـراء : آيـة ٦٧، سـورة الاسـراء : آية ٧٠، سورة طه : آية ٧٧، سورة الحـج : آيـة ٦٥، سـورة الشـورى : آيـة ٣٢، سـورة : الرحمن : آية ٢٤، سـورة الأنعـام : آيـة ٥٩ ، سـورة الأنعام : آية ٦٣، سورة الأنعام : آية ٩٧، سـورة الـنمل : آيـة ٦٣، سـورة يونـس : آيـة ٢٢، سورة يونس : آية ٩٠، سـورة الـروم : آيـة ٤١، سـورة النحل : آية ١٤، سورة الشعراء : آية ٦٣، سورة الدخان : آية ٢٤، سورة الجاثية : آية ١٢، سورة الطور : آية ٦.

١ـ سـورة المـائدة : آيـة ٩٦، سـورة الأنعام : آية ٥٩، سورة الأنعام : آية ٦٣ ، سـورة الأنعـام : آيـة ٩٧، سـورة النمل : آية ٦٣، سورة يونس : آية ٢٢ ، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٧، سـورة الإسـراء : آيـة ٦٨، سورة الإسراء : آيـة ٧٠، سـورة العنكـبوت : آيـة ٦٥، سورة لقمان : آية ٣٢، سورة الروم : آية ٤١، سورة طه : آية ٧٧.

وبالتعرق والبول بعد الشرب تتم عملية إخراج تلك السموم من الجسم، وبذلك يبقى مواكباً للحياة .

لعمري لو كانت تلك الحاجة للماء بمفردها فيه لكفانا إهتماماً به، حيث إن الأشياء لا تقاس أهميتها وإحتياجها بكثرة الفوائد والحاجات ، وإنما تقاس بنوعيّة الإحتياج ، وتوقف الحياة على أمر ، يستدعي المنزلة العليا في قاموس أمور الإنسان ، ويشهد لذلك صراعات البشر قديماً وحديثاً ، بل وحتى في المستقبل ، على إحراز الماء بنفسه ، أو منابعه ، بقدر أكبر ؛ والمعادلة عند المتصارعين على توفير المياه ، تقوم على التضحية بالقليل ــ قتلى الصراع ــ من أجل حفظ الكثير ــ الأجيال القادمة ــ ، وهذا من إعطاء الحياة عمراً أطول ، ولو من هذا السبب (توفير الماء بالغلبة) .

ومما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام مع المفضل في رسالة التوحيد : .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (وفيه منافع أُخر أنت عارف ، وعن عظيم موقعها غافل ، فإنّه سوى الأمر الجليل المعروف من عظيم غنائه في إحياء ما على الأرض من الحيوان والنبات ، بمزج الأشربة فتلذ وتطيب لشاربها ، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها ، وبه يبل التراب فيصلح للأعمال ، وبه يكف عادية النار إذا أضرمت وأشرف الناس على المكروه ، وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه ، إلى أشباه هذا من المآرب ، التي

تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة)[١] .

الريـــاح:

قـــال تعـــالى : ﴿ وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِـــنْ رَحْمَـــتِهِ وَلِـــتَجْرِيَ الْفُلْـــكُ بِأَمْـــرِهِ وَلِتَبْـــتَغُوا مِـــنْ فَضْـــلِهِ وَلَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] .

وقـــال تعـــالى : ﴿ وَاللَّـــهُ الَّـــذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[٤] .

الـــرياح مـــن أقســـام طبيعتـــنا التـــي نحياها ، وله الذكر المنتشر ما بيـــن الـــناس بكـــل طـــبقاتهم ، بالتساؤل عن أحواله ، وتفقده ، إن نشغلوا بمشـــاغل الدنـــيا ، وذلـــك لمـــا يهمهـــم فـــيما تحمله الرياح من حر وبرد ورطوبة ... .

قـــال الإمـــام الصـــادق عليه السلام فـــي هـــذا المضـــمار : (وأنـــبهك يا مفضـــل علـــى الـــريح ومـــا فـــيها ، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف

١ــ رسالة التوحيد : ص ٩٢.

٢ــ سورة الروم : آية ٤٦.

٣ــ سورة فاطر : من آية ٩ .

٤ــ سورة الحجر : من آية ٢٢.

يحدث الكرب ، الذي يكاد أن يأتي على النفوس ، ويمرض الأصحاء، ويسنهك المرضى ، ويفسد الثمار ، ويعفّن البقول ، ويعقب الوباء في الأبدان ، والآفة في الغلات ، ففي هذا بيان ، أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق)[١] .

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن جوهر الرّيح فقال : (الرّيح هواء إذا تحرّك سمّي ريحاً ، فإذا سكن سمّي هواءً وبه قوام الدنيا ، ولو كفت الرّيح ثلاثة أيام لفسد كلّ شئ على وجه الأرض ونتن ، وذلك أنّ الرّيح بمنزلة المروحة تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شئ وتطيبه ، فهي بمنزلة الرّوح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغيّر ، تبارك الله أحسن الخالقين)[٢] .

ومن أقسام الريح النيسم ، الذي يسمى بـ (الهواء) والذي تتوقف عليه حياة المخلوقات المتنفسة ، فلا يمكن استغنائها عنه ولو لدقائق ، مضافاً إلى ما به صحتها ومرضها ، وذلك حسب انواعه أو نقائه وتلوثه .

قال الإمام الصادق عليه السلام فيه : (وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة ، وما فيه من المصالح ، فإنّه حياة هذه الأبدان ، والممسك لها من الداخل ، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من

١ــ رسالة التوحيد : ص ٨٨ ــ ٨٩ .

٢ــ الإحتجاج : ص ٩٧.

روحه...)[١] .

وقد عرف ما بين الناس فضلا عن العلماء المختصين في هذا المجال ، تقسيم الرياح إلى أربعة (الشمال والجنوب والصبا والدبور)، ولكل من هذه الأقسام جهة تهبّ منها ، وخصائص تختص بها ، وهذا ما تستدعيه تسميتها وقسمتها ، فإن تقسيم الأشياء يحتاج إلى جهة إشتراك ، وجهة اختلاف ، وفي موردنا نفس الرياح جهة إشتراك ، حيث إن رياح الشمال رياح ، وكذا رياح الجنوب والصبا والدبور ، وأما جهة الإختلاف فتكمن في مميزات وخصائص تلك "رياح .

عن السياري رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : لِمَ سميت رياح الشمال؟ فقال : (لأنها تأتي من شمال العرش)[٢] .

قال صاحب كتاب عجائب الملكوت ، بمعنى الجهة التي أصلها البارد اليابس ، وهي قليلة البحار كثيرة البراري والجبال فتكتسب منها يبساً وتكون أشدّ هبوباً من الجنوب[٣] .

وللإطلاع على شئ يسير ننقل ما جاء في كتاب عجائب الملكوت في هذه الأقسام :

١ــ رسالة التوحيد : ص ٨٩ .

٢ــ علل الشرائع : ج ٢ ص ٢٢٤.

٣ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

قال : ريح الشمال تصحّ الأبدان وتصلّبها وتقوّي الأدمغة وتصفّي اللون وتصحح الحواس وتهيّج الشهوة ، وتسدّ المسام وتقوّي الهضم وتعقل البطن وتدّر السبول ، وتصحح الهواء العفن الملوّث ، وقيل : إنّها تجعل أكثر أولادها ذكوراً[١] .

وريح الجنوب وهي حارة رطبة لأنّها تهبّ من خط الإستواء، وهناك الحرّ المفرط لأنّ الشمس تسامتها في السنة دفعتين ولا تتباعد عنها فتزداد حرّاً ، ولهذا تكسر البرد وتذيب الثلج ، فعن أبي عبد الله عليه السلام : (نِعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكن وتلقح الشجر وتسيل الأودية) .

والجهة التي تهبّ منها كثيرة البخار فتكسب من أبخرتها الرطبة ، ولهذا تكون مرخيّة للقوّة مفتحة للمسام ، وتورث الأبدان الكسل وثقلاً في النوم والأسماع .

والعجيب أنّ اللواقح منها ، وإذا هبّت على الماء الحارّ بردّته ، وقيل إنّ أكثر أولادها إناثاً [٢] .

وريح الصبا يكون هبوبها في آخر الليل وأول النهار ، فهي مائلة إلى البرد ، لأنّها تمّر على مواضع باردة فتبرد ببعد الشمس عنها بالليل ، فتكون طيبة جداً ، إلاّ أنّ وقتها قليل ، لأنّ شعاع الشمس يسوقها من خلفها ، فإذا طلعت الشمس أصبحت مقابلها ، فلا

١ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

٢ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

تـزال كذلـك تمـرّ أمـام الشـمس تسخنها بحرّها وضيائها ، حتى تصير معـتدلة ، وهـي النسـيم السـحري ، الـذي يلتذّ به الإنسان ويطيب النوم عليه ، ويجد المريض راحة عند هبوبها [١] .

وريـح الدبـور يكـون هـبوب هذه الرياح أول الليل وآخر النهار ، فالشـمس تكـون مدبـرة عـنها ، فـلا تسـخنها تسـخين الصَّبا ، وزمن هـبوبها قلـيل لإ نقطاعهـا بعـد أول اللـيل ، وهـي أكـثف وأغلظ من الصـبا، وأرطـب يسـيراً ، لأنّهـا تجـتاز البحار ، ولأنّ الشمس تخلفها بحركـتها ، وهـي أقـل حـرارة من الصبا ، وأميل إلى البرد ، وإن كانا كلاهما بالقياس إلى الرياح الجنوبية والشمالية معتدلين[٢] .

هـذا جانـب مـن جوانـب الرياح ، ويعبر عنه بالجانب الإيجابي ، ولهـا أيضـاً جانـب سـلبي تجاه المخلوقات ، وفي هذا الجانب درجات ، وأعلهـا مـا هـو مهلـك للمخلـوق الحي ومعذبه ، بل إننا نجد الإنسان ، الـذي مـنح قابلـية الـتطور مـن خـلال فكره ، وبعد طول تجربته في الحـياة ، وتقدمـه فـي إبـتكار أرقـى الوسائل والمعدات ، لم يتمكن من صدّ تلك الريح ــ المهلكة ــ إن أتت .

قـال تعـالى : ﴿ **إِنَّـا أَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ** ﴾[٣] .

١ــ عجائب الملكوت : ص ٨٦ .

٢ــ عجائب الملكوت : ص ٨٧.

٣ــ سورة القمر : آية ١٩.

وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

الجبال :

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٣] .

الجبال من اقسام الطبيعة المشخصة ، يعرفها الصغير والكبير، وهي مختلفة في صغرها وكبرها ، وألوانها ، ونوعيّة صخورها وأحجارها وتربتها ... ، ولها خصائص عدة ، نذكر ثلاثة منها ، الاول: منافعها ، الثاني: عظم خلقها ، الثالث: إطاعتها لخالقها .

الأول : منافعها:

قال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[٤] .

١ــ سورة الذاريات : آية ٤١.

٢ــ سورة الأحقاف : من آية ٢٤.

٣ــ سورة فاطر : آية ٢٧.

٤ــ سورة النازعات : آية ٣٢.

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾[١] .

وضع الجبال على الكرة الأرضية له من المنفعة الكبرى ، حيث استقرار الكرة الأرضية من خلال وجودها ، والآية المتقدمة واضحة المعنى ، لان الإرساء هو إثبات الشئ ، فالجبال مثبتة من قبل خالقها .

وآيات أخرى تحكي أن ذلك الإرساء للجبال لم يكن مجرد تثبيت كيف كان ، وإنما هو إرساء للجبال بمعنى نفس الكلمة ، حيث إن الإرساء هو تثبيت للشئ بنحو محكم ، كما يقال في السفينة حين استقرارها رست .

فالجبال موزعة على أماكن من الأرض بحيث تستقر من خلالها .

قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٣] .

فاستقرار الأرض ناتج عن حجم الجبال وثقلها ، حيث إنيطة

١ــ سورة فصلت : آية ١٠.

٢ــ سورة النحل : آية ١٥.

٣ــ سورة الأنبياء : آية ٣١.

بها مهمة الإرساء ، وتوزيعها على الأماكن لأجل هذا الغرض .

قال أمير المؤمنين في هذا المجال : (وحَمَلَ شَوَاهِقَ الجِبَالِ الشُّمَّخِ البُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا ، فَجَّرَ يَنَابِيعَ العُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا ، وَعَدَّلَ حَرَكَتَهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا ، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ لِرُسُوبِ الجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا ، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا ، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَجَرَائِمِهَا ...)[1] .

وابن أبي الحديد الشارح لخطب أمير المؤمنين سلّم بأن الجبال مهمتها استقرار الأرض ولكن تعبداً ، حيث يدعي أن ذلك مخالف لقول الحكماء ، فإنهم يبنون على أن الأرض تستقر لطلبها المركز ، الذي هو محل استقراها .

قال ابن أبي الحديد : إن هذا القول يخالف قول الحكماء ، لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك ، بل لأنها تطلب المركز ، وهي حاصلة في حيزها الطبيعي ، لكنّا وإن كان مخالفاً لقول الحكماء، فإنا نعتقد ه ديناً ومذهباً ، ونعدل عن قول الحكماء ، لأن إتباع قوله عليه السلام أولى من إتباع أقوالهم[2] .

ولعل الذي ذهب بابن أبي الحديد لذلك ، ما توصل إليه الحكماء في زمانه ، مع أن في زماننا قد ثبت بالفعل إن الجبال عامل في

١ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٤٣٧/ خطبة الأشباح .

٢ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٤٤٧.

استقرار الأرض وثبوتها ، فيكون ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في الجبال علمياً ، ولعل يمكن القول أنه لا يمكن حمل قوله عليه السلام على التعبد ، لأنه ليس بأمراً ولا نهياً ، ولا أنها مسألة غيبية ، غير قابلة للسير العلمي ، حتى يتوقف عندها بالتعبد .

قال صاحب كتاب هذا خلق الله : أنه بفعل دوران الأرض حول نفسها ، فإن قوة ما تنشأ بفعل تلك الحركة تسمى بالقوة الطاردة، فلابد إذا من إيجاد قوة أخرى تخالفها ، وتسمى بالقوة الجاذبة ، تجذب الأرض إلى مركزها بفعل ثقل جبالها ، وقد ثبت أن هاتين القوتين متعادلتين ، مما يجعل الأرض لا تميل ، ولا تضطرب بالرغم من أنها تدور وبسرعة تصل إلى ٤٦٥م / ثا في مناطقها الإستوائية [١] .

فهذه منفعة من منافع خلق الجبال ، ويا لها من منفعة عظيمة ، ومن منافع الجبال أيضاً :

١ــ الإنتفاع من احجارها وصخورها .

٢ــ محل للمياه المخزونة .

٣ــ محل لإنشاء السدود التي فيها من المنافع الكثير .

٤ــ محل للزراعة والسياحة والسكن ... .

٥ــ محل للغابات ، التي فيها من المنافع الكثير ، ومن بينها أنها مأوى للحيوانات المتوحشة .

١ــ كتاب هذا خلق الله : ص ١٠٢.

الثاني : عظم خلقها :

يكفي الناظر لهذا المخلوق ــ الجبال ــ أن يتيقن بعظمه ، فإرتفاعها الشاهق ، وسلاسلها الممتدة بشكلها الرهيبة ، والأودية المتخللة في اعماقها ، وسفوحها المبسوطة كأجنحة الطير ، مضافاً إلى جلادة صخورها واحجارها ، وقد أخذ الناس من حجم الجبال وثقلها المثل ، فضربت به الأمثال فقالوا : أثقل من عماية[١] ، وأثقل من أحد[٢] .

فالجبال بتراكيب صخورها ، وكبر حجمها ، وثقل وزنها ، من الأمر البين ، ولذا جعلت أمراً يستدل به على عظمة خالقها .

قال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الأِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾[٣] .

ويقسم أمير المؤمنين برب الجبال ، فمن عظمتها يستكشف عظمة خالقها عزّ وجلّ .

قال عليه السلام : (وَرَبّ الْجِبَالِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ ، وَسَدِّدْنَا

١ــ مجمع الأمثال : ج ١ ص ١٥٥ ، عماية : جبل بالبحرين من جبال هذيل .

٢ــ مجمع الأمثال : ج ١ ص ١٥٥ ، أحد : جبل بيثرب معروف ومشهور .

٣ــ سورة الغاشية : آيات ١٧ــ ١٨ــ ١٩.

لِلْحَـقِّ ، وَإِنْ أَظْهَـرْتَهُمْ عَلَيْـنَا ، فَارْزُقْـنَا الشَّـهَادَةَ ، وَاعْصِـمْنَا مِـنَ الْفِتْنَةِ...)[1] .

الثالث : إطاعتها لخالقها :

الإقـرار بـالحق ، والإذعـان للصـواب ، مـن سـمات السـير الصـحيح ، والإرادة الـتامة ، والـتطابق مـا بيـن القول والعمل ، وهذه لـيس لهـا محـل إلاّ لمـن كـان له حـق الإختـيار ، ولم تعرف ساحة المخلوقـات مخلوقـاً مخـتاراً إلاّ الإنسـان ، فعلى هذا المخلوق أن يفتخر بمـا اعطـي ومـيّز ، لكـن واقعه لم يحكِ لنا ذلك ، بل نراه اختار طريقاً جعله في الطبقة التي دون باقي الخلوقات .

قـال تعـالى : ﴿ **أَمْ تَحْسَـبُ أَنَّ أَكْـثَرَهُمْ يَسْـمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[2] .

وخسـران الإنسـان تلـك المـيّزة ـ الإختـيار والإرادة ـ إمـا بإهمالهـا ، أو بـالعمل علـى خلاف الحق ، وإرادة الله سبحانه ، لم يدعه يعـترف بعظمـة خلـق الله سـبحانة ، كباقي المخلوقات ، التي تسبح الله وتقدسه ، وتعمل على إرادته .

١ـ شـرح نهـج الـبلاغة لابـن أبي الحديد : ج ٩ ص ٣١/ من كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين .

٢ـ سورة الفرقان : آية ٤٤.

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[١] .

وها هي الجبال مع عظم حجمها ، وثقلها وزنها ، وكثرة منافعها ، تسجد لخالقها وتسبحه .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٤] .

ونجدها في مجال الإذعان تذعن لله سبحانه ، حتى تكاد تخرّ وتتساقط من علوها الشاهق ، عندما ينسب لخالقها ما ليس من شأنه جلّ وعلا .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

١ــ سورة الإسراء : من الآية ٤٤.

٢ــ سورة الحج : من الآية ١٨.

٣ــ سورة ص : آية ١٨.

٤ــ سورة الأنبياء : من الآية ٧٩.

هَدّاً ﴾[١].

وبعد الإطلاع اليسير على بعض خصائص وصفات بعض أقسام الطبيعة ، نقول أنه يمكن للإنسان أن يختار ما هو مناسب له منها ، وبهذا الإختيار يعطي لنفسه مؤهلات العيش الصحيح ، ويسدّ باب سبب من أسباب الموت تأثراً بها ، فالإنسان وإن حكم بالموت ، وقدّر له أجل ، لكنه لم يحكم بالعيش في نوع واحد من الهواء ، أو الشرب من ماء معين ، فعدم إختياره لأقسام الطبيعة الجيدة ، لعله يكون سبباً لموته وحلول أجله ، الذي استعجله ، بخلاف ما لو أعمل إختياره ، فلعل يبقى إلى أجله المحتوم ، الذي لا مفر منه .

فإطالة العمر بإختيار أفضل أقسام الطبيعة ، كائن ما بين الموت بسبب قسم ردئ من أقسام الطبيعة ، والموت عند حلول الأجل المحتوم ، فلو قدّر لإنسان أن يعيش مائة سنة ، لكن ذلك مشروط بإختيار أقسام جيدة من الطبيعة والبيئة ، فلو قصّر وعاش في الأقسام الرديئة من الطبيعة ، ومات في الستين من عمره ، لم يكن ممن أطالة عمره بإختياره ، بل هو ممن قصّر عمره .

من وصايا لقمان لإبنه : وإذا أردت النزول ، فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً ، ولينها تربة ، وأكثرها عشباً [٢] .

فتبين أن أقسام الطبيعة فيها قابلية لأن تمنح الإنسان عمراً

١ــ سورة مريم : الآيات ٨٨ ــ ٩٠ .

٢ــ عجائب الملكوت : ص ٥٢.

أطـول ، إن قـدّر له مـن ناحيـتها ، ويؤيد ذلك بالإحصائيات المقامة في هـذه المجـال ، فـإن كثـير مـن الذين عمّروا حياة أطول كانوا يعيشون فـي ظـروف طبيعـية جـيدة ، ومـن نـتائج تلك الإحصائيات أن بعض الـبلدان يكـون أعمـار سـكانها أطـول مـن غـيرها ، كما في إنكلترا والـنروج بخـلاف فرنسـا وايطالـيا ، ومـا ذلـك إلاّ للظـروف التـي يعيشونها .

يـنقل عـن بـلاد السـند أن الأعمار فيها طويلة ، ويذكر عيسى بن علـي العمـري: أن الهـرم فـيها قلـيل ، وأنه فارق رجلا فيها عن عمر ناهز المائة وستين سنة[1] .

السبب الثالث : أعمال الإنسان :

المخلوقـات الأرضـية بأجمعهـا تشـترك بـأمور ، وتخـتلف عن بعضـها بـأمور ، ومـن أبـرز محـال اشـتراكها أنها مخلوقات ، وأما محـال إخـتلافها فمـن أبـرزها أن الإنسـان مـن بين المخلوقات يحمل عقـلاً، وهـو جهـاز غـير مـادي ، يمكـن مـن خلالـه تطوير حامله إجتماعـياً إقتصـادياً ماديـاً... مضـافاً إلـى عمله الرئيسي ، وهو إرشاد الإنسان إلى الصواب من الأمور .

وبذلـك يـنفرد الإنسـان مـن بيـن المخلوقات بإمكانية إختيار فعل

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٧.

من الإفعال ، وترك آخر ، بدراية وسداد ، إثر إعمال العقل لما يراه من مصلحة في فعل العمل ، أو تركه ، فحتى لو لم يعلم الإنسان بدقة مصلحة فعل ، ودرجة شدة قبح فعل ، علم من خلال عقله بحسن أفعال ، وقبح أخر ، بنحو عام .

ووجود أداة للتميّز من غير وجود اشيأ تُميّز من العبث الواضح، وهذا بعيد عن ساحة الخالق جلّ وعلا ، بل ولا يقبله العقلاء فيما ينشؤن من أدوات تمييزية لأمورهم ، وإذا كان للعقل هذا الدور في حياة الإنسان ، حيث يمكنه أن يسلك بصاحبه سبل النجاة عند إتباعه ، ويقع من لا يتبع أوامره سبل المهاوي ، أن يكون حجة يحتج به على من يحمله من البشر .

عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : (يا هشام إنّ لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول)[1] .

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)[2] .

والعقل حجة فيما بين الناس ، ولذا نجد اللوم والعتاب والتقريح والعقوبة ... لمن لم يتبع أوامر العقل عند تصرفاته .

١ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١٣ــ ١٦.

٢ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ٢٥.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (كل حسب منتاه إلاّ العقل والأدب)[١] .

فالعقل مخلوق محبوب ، وذلك لما له من دور في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية ، ولذا به صحَّ مخطابة الإنسان ، وأمره ونهيه ، وتبجيله وإهانته ... دون غيره من المخلوقات .

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لما خلق الله العقل إستنطقه ، ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ، ولا أكملتك إلاّ فيمن أحب ، أما إني إياك آمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب وإياك أثيب)[٢] .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (العقل ما عبد به الرحمن ، واكتسب به الجنان)[٣] .

فتبين من خلال ما تقدم أنّ في أعمال وأفعال الإنسان ما هو جيد وصالح ، وما هو قبيح وطالح ، ومن نتائج كلا النوعين من الأفعال ، أن يوصف الإنسان المتلبس بأحدهما بوصفه ، فيقال إنسان صالح ، وإنسان طالح .

١ــ ميزان الحكمة : ج ١ ص ٥٣.

٢ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١٠.

٣ــ الكافي : ج ١ كتاب العقل والجهل ص ١١

ومن المعلوم أن ليس لأعمال الإنسان مجرد هذه النتيجة ، بل لها نتائج وآثار أُخر ، منها: ما هو كبير وخطير ، ومنها: ما هو صغير وحقير .

فالأعمال والأفعال بنفسها أمور كائنة في نفسها ، ولكن عندما يتقمصها الإنسان ، أو تغلب عليه ، يكون لها مردود ما على شخصه وشخصيته ، وآثار هذه الأعمال والأفعال بالنسبة للمادي منها سهل المتناول في التوضيح والبيان ، فالأعمال التي يؤديها الإنسان بيده اليمنى تؤثر فيه ، بأن تجعل عضلات اليد اليمنى أقوى وأبرز ، مما في يده اليسرى والعكس يعطي العكس ، ولكن يصعب البيان والتوضيح ، عند الأغلب من الناس لآثار الأعمال المعنوية ، حيث إنّها أمور مجردة ، لا تنالها حواس الإنسان ، ومن طبع الإنسان الأنس بالماديات ، وذلك لدرك حواسه لها ، ولكن هذا لا يستدعي الوقوف عند ذلك ، أو إنكار الأثار المعنوية المجردة ، حيث إن الشرائع السماوية نصت ودلت على مثل هذه الآثار ، وصارت تلك النصوص نقطة إبتدأ ، وعامل دفع ، لشروع المفكرين والعلماء في تحقيق هذه المسألة ، فبرهنوا عليها ، ثم أبدوا إستنتاجات عظيمة ، من خلال الإعتقاد بها ، والعمل من أجلها ، وقد طرح المفكرون والعلماء براهينهم بما يتناسب وحال الأفراد في الإدراك والتعقل والفهم .

فمن الآيات التي تدل على أنّ للأعمال آثار :

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً**

وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[٦] .

قال صاحب تفسير الميزان في خصوص الآية الاخيرة : لعمري

١ــ سورة آل عمران : آية ٣٠.

٢ــ سورة البقرة : آية ١٧٤.

٣ــ سورة النساء : آية ١٠.

٤ــ سورة التحريم : آية ٧.

٥ــ سورة الأحقاف : آية ١٩.

٦ــ سورة ق : آية ٢٢.

لو لم يكن في كتاب الله تعالى إلاّ قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ** ... ﴾ لكان فيه كفاية ، إذ الغفلة لا تكون إلاّ عن معلوم حاضر، وكشف الغطاء لا يستقيم إلاّ عن مغطى موجود ، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً من قبل ، لما كان يصح أن يقال للإنسان أن هذه أمور كانت مغفولة لك ، مستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء ، مزالة منها الغفلة[1] .

فالآيات تبين أن للأعمال والأفعال الإنسانية آثار ، وإن كانت هذه المجموعة من الآيات تحكي عن الآثار الأخروية ، والتي يعبر عنها في الكتب الفلسفية بتجسم الأعمال ، وكيف كان فهي لا تخرج عن دائرة آثار الأعمال غير المعلومة ، لدى أغلب الناس ، وبما أن كلامنا في إطالة العمر ، فهل توجد أعمال إن قام بها الإنسان تورثه زيادة في العمر؟ وليس لنا طريق مختصر لمعرفة ذلك ، إلاّ ما أخبر به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فنتوقف وذلك الطريق المختصر لتناسبه مع المقام :

فمما أرشدوا إليه :

الصدقة :

عن النبي صلى الله عليه وآله : (إن الصدقة وصلة الرحم تعمران الديار،

١ــ تفسير الميزان : ج ١ ص ٩٢.

وتزيدان في الأعمار)[١] .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (الصدقة تمنع ميتة السوء)[٢] .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (من تصدق في يوم ، أو في ليلة ، دفع عنه الهدم والسبع وميتة السوء)[٣] .

البر بالأرحام والجيران :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : (عليكم بصنائع الإحسان ، وحسن البر بذوي الرحم والجيران ، فإنهما يزيدان في الأعمار ، ويعمران الديار)[٤] .

قال علي عليه السلام : (صلة الأرحام منسأة [٥] في الأعمار...)[٦].

قال الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (احتضر رجل بار في جواره رجل عاق ، قال الله عزّ وجلّ لملك الموت: يا

١ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٨ .

٢ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٧ .

٣ــ مكارم الأخلاق : ص ٣٨٨ .

٤ــ عيون الحكم والمواعظ : ص ٣٤٢ .

٥ــ النسيئ : التأخير يكون في العمر والدين وقوله ينسأ أي يؤخر ومنه الحديث: صلة الرحم مثراة في المال منسأة في الأثر ، هي مفعلة منه أي مظنة له وموضع . لسان العرب : ج ١ ص ١٦٦.

٦ــ بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٢٠٧

ملـك المـوت كـم بقـي من أجل العاق ؟ قال ثلاثون سنة . قال : حولها إلى هذا البار ...)[١] .

اليمين الكاذبة :

قـال النبـي ﷺ : (اليميـن الفاجـرة ، تخـرب الديار ، وتقصر الأعمار)[٢] .

قـال رسـول الله ﷺ : (اليميـن الصـبر الفاجـرة ، تـدع الديار بلاقع)[٣] .

قـال رسـول الله ﷺ : (اليميـن الفاجـرة ، تـدع الديار بلاقع ، وتعقم الرحم ، وتقلّ العدد)[٤] .

حسن الخلق :

عـن الرضـا عليه السلام ، عـن أبـيه عليه السلام، قـال : قـال أبـو عـبد الله عليه السلام: (صلة الأرحام ، وحسن الخلق ، زيادة في الأعمار)[٥] .

١ــ بحار الأنوار : ج ٤٧ ص ١٩٤.

٢ــ عوالي اللئالي : ج ١ ص ٢٦٢.

٣ــ ثواب الأعمال : باب عقاب من حلف بالله كذب : ص ٢٢٦ .

٤ــ كنز العمال : ج ١٦ ص ٦١٧.

٥ــ بحار الأنوار : ج ٧١ ص ٩١.

قال النبي صلى الله عليه وآله : (حسن الخلق ، وصلة الأرحام ، وبرّ القرابة، تزيد في الأعمار، وتعمّر الديار ، ولو كان القوم فجار)[١].

ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن سنان ، قال : (قال أبو عبد الله عليه السلام يا ابن سنان أن النبي صلى الله عليه وآله كان قوته الشعير من غير أدام ، أن البرّ ، وحسن الخلق ، يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار)[٢].

عمل البوائق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا علي من كرامة المؤمن على الله ، أنه لم يجعل لأجله وقتا ، حتى يهمّ ببائقة ، فإذا همّ ببائقة قبضه إليه) [٣] .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : (تجنبوا البوائق[٤] يمدّ لكم في الأعمار)[٥] .

قال عبيدة بن هلال الخارجي يذكر رجلا من أصحابه :

يهوى فترفعه الرماح كأنه شلو تنشب فيه مخالب ضار

١ــ بحار الانوار : ج ٧٤ ص ٧٢.

٢ــ بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ٣٩٥.

٣ــ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٤٠ .

٤ــ ا لبوائق والبائقة : الداهية والشر .

٥ــ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٤٠ .

يهـوي صـريعاً والرماح تنوشه إن الشـراة قصـيرة الأعمار[١]

قال أبو تمام :

جهلـوا فلـم يستكثروا من طاعة معـروفة بعمـارة الأعمـار[٢]

الدعاء :

قـال تعـالى : ﴿ **وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُونِـي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[٣] .

وقـال تعـالى : ﴿ **ادْعُـوا رَبَّكُـمْ تَضَـرُّعاً وَخُفْـيَةً إِنَّـهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[٤] .

قـال أمـير المؤمنيـن عليه السلام فـي وصـيته لإبـنه الحسـن عليه السلام : (وإعلـم أن الـذي بـيده خزائـن السـموات والأرض ، قـد أذن لك في الدعـاء ، وتكفـل لـك بالإجابـة وأمرك أن تسأله ليعطيك ... وإذا ناجيته علـم نجـواك ، فأفضـيت إلـيه بحاجـتك ، وابثثته ذات نفسك ، وشكوت إلـيه همومـك ، واستكشـفته كـروبك ، واسـتعنته على أمورك ، وسألته

١ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٤ ص ٢٢٥.

٢ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٨ ص ٢٨٢.

٣ــ سورة غافر : آية ٦٠.

٤ــ سورة الأعراف : آية ٥٥.

من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره ، من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ...)[١] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق باب الزيادة ، ولا يفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة ...)[٢] .

وقال أبو جعفر عليه السلام : (من أعطي أربع لم يحرم من أربعا : من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطي الإستغفار لم يحرم التوبة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، ومن أعطي الصبر لم يحرم الأجر)[٣] .

وروى أنس بن مالك: (لا تعجزوا عن الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد)[٤] .

زيارة الحسين عليه السلام :

عن يوسف بن عمير ، عن منصور بن حازم ، قال : سمعناه عليه السلام ــ الإمام الصادق ــ يقول : (من أتى عليه حول لم

١ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ١٦ ص ٨٦ ــ٨٧.

٢ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٢٠ ص ٨٢.

٣ــ بحار الأنوار : ج ٦ ص ٢١.

٤ــ شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : ج ٦ ص ١٩١.

يـأت قـبر الحسـين عليه السلام ، أنقـص الله مـن عمره حولاً ، ولو قلت أن أحدكـم لـيموت قـبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً ، وذلك أنكم تتركون زيارته ، فلا تدعوها ، يمدّ الله في أعماركم ...)[١] .

وقـال الشـهيد الأول قدس سره فـي الـدروس : وثـواب زيارتـه ـ الحسـين عليه السلام ـ لا يحصـى ، حـتى أن زيارتـه فرض على كل مؤمن، وأن تـركها تـرك حـق لله تعـالى ولرسـوله ، وأن تركها عقوق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنـتقاص فـي الإيمـان والديـن ، وأنه حق على الغني زيارته فـي السـنة مرتيـن ، والفقـير فـي السنة مرة ، وأن من أتى عليه حول ولـم يـأت قـبره ، نقـص عمره حول ، وأنها تطيل العمر ، وأن زيارته لا تعدّ من الأجل ...[٢] .

السبب الرابع : الإرادة الخارجية

تبيـن مـن خـلال مـا تقـدم أن الإنسـان بطـبعه يميل إلى طول العمـر، ويبحـث عـن كل عامل وسبب فيه إمكانية إطالة العمر ليحويه ، والـذي تقـدم مـنّا فـي عدّ العوامل والأسباب ما كان داخل تحت اختيار الإنسـان ، فالأمـر فـيما تقـدم راجع إليه وحده ، فإن شاء عمل وإن شاء تـرك ، ولكـن لـم تقـف بعـد سلسلة العوامل والأسباب المطيلة للعمر ، فـيوجد عـامل وسـبب ، ولكـنه خارج عن إرادة الإنسان وإختياره ، وقد

١ـ المزار : ص ٣٢ ـ ٣٣.

٢ـ الدروس : ج ٢ ص ٩ .

عبرنا عنه بـ (الإرادة الخارجية) والمقصود فيه هو إرادة الله سبحانه ، ومن خصائص هذه الإرادة أنها تعمل عملها فيمن آمن بها ، أو من لم يؤمن بها ، فإطالة العمر الآتية من إرادة الله سبحانه لو شاء، لا يوقفها كفر كفار ، ولا يجلبها إيمان مؤمن .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٣] .

وقد كان من جملة إرادات الله سبحانه أن يقدّر الموت لكل نفس خلقها ، وبالموت تخرج النفس من دار الدنيا ، فالخلد في هذه الدار لم يكتب لأحد من أنبيائه وعباده ، فضلا عن غيرهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾[٤] .

١ــ سورة يس : آية ٨٢.

٢ــ سورة البقرة : آية ١١٧.

٣ــ سورة غافر : آية ٦٨.

٤ــ سورة الزمر : آية ٣٠.

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[١] .

فالنفوس البشرية مقدر لها الموت الذي يختم أمد عمرها في دار الدينا ، فإنتهاء العمر أمر حتمي ، ولكن هنا يأتي تساؤل عن دور العوامل والأسباب المطيلة للعمر مع هذه الإرادة الجبارة ، فأي الجانبين غالب ؟ وهل ما قدّرته الإرادة الخارجية نافذ ؟

هذه التساؤلات وغيرها ، تأتي ممن لم يؤمن بأن الإرادة الخارجية هي الخالقة لكل شئ ، حتى تلك الأعمال والأسباب التي قلنا أن فيها قابلية إطالة العمر ، وأما من يؤمن بالإرادة الخارجية وخالقيتها للأمور والأشياء فيعلم أن دورها في العمل غير خارج عن إرادته سبحانه ، ومن أنكر أو لم يفهم التوفيق ما بين الإرادة الخارجية وتلك الأمور المطيلة للعمر ، فعن جهل ليس إلاّ .

ونقول في توضيح المطلب بما يتناسب والمقام وقد تقدم شئ يسير منه:

قد ثبت أن الإرادة الخارجية خالقة لكل شئ ، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة ، وليس من المعقول أن يخلق الله تعالى شئياً يكون قاهر له ، معطلاً لأوامره ، فلابد أن يكون هناك وجهاً جامعاً ما بين الخالق والمخلوق بحيث يتفق وسنخية كل منهما .

قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ

١ــ سورة العنكبوت : آية ٧٥.

الْقَهَّارُ ﴾[١].

فإن لم تكن الأعمال المطيلة للعمر قاهرة لإرادة الله سبحانه ، والحق كذلك ، بل وأنها داخل ضمن إرادته سبحانه ، وإلاّ لما خلقها وأوجدها ، فضلا عن أن يعطيها فاعلية في إطالة العمر ، فإعطاه إليها هذه الميزة منحة من منحه ، التي لا تعد ولا تحصى ، أما كيفية عمل هذه الأسباب ضمن دائرة الحق جلّ وعلا ، ولعل هذا هو المطلب الرئيسي .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا

١ــ سورة الرعد : من آية ١٦.

٢ــ سورة الأنعام : آية ٢.

٣ــ سورة هود : من آية ٣.

٤ــ سورة ابراهيم : من آية ١٠.

مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1] .

يتبين وبوضوح من هذه المجموعة من الآيات وغيرها ، أن الأجل أجلان ، أجل مبهم ، وآخر مسمى ، والإبهام والتسمية راجعة للزمان ، فالمبهم زمانه غير محدد ، وذلك بخلاف الأجل المسمى ، حيث حدد فيه الزمان .

ففي الكافي عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** ﴾، قال: (هما أجلان أجل محتوم وأجل موقوف)[2] .

وفي تفسير العياشي : عن حمران ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿ **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** ﴾ ، قال : (هما أجلان ، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء ، وأجل محتوم)[3] .

قال العلامة الطبطبائي في تفسيره للآية : فتبين بذلك أن الأجل أجلان : الأجل على إبهامه ، والأجل المسمى عند الله تعالى . وهذا هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقييده بقوله (عنده) وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ وهو الأجل المحتوم ، الذي لا يتغير ولا

١ــ سورة النحل : آية ٦١.

٢ــ الكافي : ج ١ ص ١٤٧.

٣ــ تفسير العياشي : ج ١ ص ٣٥٤ــ ٣٥٥.

يتبدل، قال تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ .

فنسبة الأجل المسمى إلى الأجل غير المسمى ، نسبة المطلق المنجز إلى المشروط المعلق ، فمن الممكن أن يتخلف المشروط المعلق عن التحقق ، لعدم تحقق شرطه الذي علّق عليه ، بخلاف المطلق المنجز ، فإنه لا سبيل إلى عدم تحققه البتة[1] .

ومن هذا المجموع تبين أن للإنسان أجلين قد قدرّهما الله سبحانه له ، أجل ثابت لا يتغير ، وبه يخرج عن دار الدنيا ، سواء طبق الأعمال المطيلة للعمر ، أم لم يطبقها ، وأجل آخر قد جعل الله فيه قابلية التأخير والتقديم ، والتقديم والتأخير لم يجعلهما الله بلا أسباب ، ومن بين تلك الأسباب الأعمال المطيلة للعمر ، فإن طبقها الإنسان ولم يأتيه الموت من خلالها ، بقي إلى أجله المسمى ، الذي هو غير قابل للتأخير والتقديم ، وإن لم يطبق تلك الأعمال لعل يأتيه الموت ، قبل أجله المسمى ، فيكون موته عند حلول أجله الأول ، وذلك لعدم عمله بالعوامل المؤثر في إطالة العمر ، وقد يبقى إلى أجله المسمى مع إخلاله وتقصيره في العمل بالعوامل المؤثرة في إطالة العمر ، وفوق كل هذا المصلحة ، التي يعلمها الله سبحانه بأمور البشر ، فيمدّ في عمر من يشاء إلى حلول أجله المسمى ، ويقبض من يشاء عند حلول أجله المتغير .

١ــ تفسير الميزان : ج ٧ ص ٩.

قال تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[١] .

والحال في المقام كالسفينة التي يقدر لها مهندسها أمدا لقابليتها للعمل ، ولكن قوله وتقديره لا يتنافى مع تكسرها من قبل قبطانها ، عند عدم مراعته لشرائط الإبحار ، فيتبين أن للسفينة أجلين ، أجل ثابت من قبل مهندسها ، وأجل عند تكسرها بحادث ما ، وكلا الأجلين معلوم لدى مهندس السفينة .

والتمثيل بالسفينة ومهندسها للتقريب ليس إلاّ ، وإلاّ أين علم المهندس بعمر سفينته ، من علم الله سبحانه بمخلوقاته ، فالمهندس وإن كان يعلم أن للسفينة أجلين ، لكن لا على وجه الدقة والمصلحة ، كما في علم الله سبحانة بمخلوقاته .

١ــ سورة الرعد : آية ٣٩.

النقطة الرابعة :

طبيعيّة طول عمر الإنسان

لنفسك أن تختـــار سبـــعة أنســـر
إذا ما مضى نسر خلوت إلى نســـر
فعمّـــر حتـــى خـــال أن نســـوره
خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

تبين من خلال الأبحاث المتقدمة ، أنه توجد هناك عوامل وأسباب لو طبقت لمنحت الإنسان عمراً أطول في دار الدنيا ، مضافاً إلى وقوع الإذن بذلك من قبل بارئ النفوس ومصورها ، حيث إنّه وضع للإنسان أجلين ، وأحدهما مرتهن بالأخذ بالعوامل والأسباب المطيلة للأعمار ، فإمكانية إطالة العمر ، بل وحصوله للبعض ، يدعوان الإنسان لأن يتمنى ويسعى للبقاء حياً مدة أطول في هذه الدنيا، ولذا عندما يُسمع بأن إنسان ما عمّر في الحياة أمداً طويلاً لا يُستغرب لذلك .

وها هو التأريخ ينقل لنا عن قوم ثمود أعمارهم الطويلة :

قال المفسرون : إن عاداً لمّا أهلكت عمّرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض ، وكثروا وعمّروا أعماراً طوالا ، حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته ، فنحتوا البيوت في الجبال ، وكانوا في سعة ورخاء[1] .

١ــ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٠ ص ٢٦٢.

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[١] .

فالتعمير في دار الدنيا طبيعي ، وقد وقع ذلك لأناس كثير بينهم الصالح والطالح ، ولإختصار البحث ننقل شواهد من ذلك .

١ــ الخضر عليه السلام : الذي نفّذ وصية آدم عليه السلام لولده ، بأن يدفن في بلاد الشام ، وبقي جسده ينتقل من يد إلى أخرى لعدم التمكن من دفنه ، إلى أن وصل إلى نوح عليه السلام ، ثم إلى ولّده (سام ويافث وحام) ، ولم يتمكنوا من دفنه بها ، إلى أن وصل الأمر إلى الخضر عليه السلام ، فدفنه بها ، وكان آدم عليه السلام قد دعا الله تعالى أن يطيل عمر من يدفنه ، وقد أنجز الله تعالى ذلك للخضر ، فهو حي يرزق إلى يومنا هذا ، قال صاحب كتاب كنز الفؤاد وهذا حديث رواه المشايخ الثقات[٢] .

٢ــ لقمان بن عاد الكبير : أطول الناس عمراً بعد الخضر عليه السلام، وذلك أنه عاش الف سنة وخمسمائة سنة ، ويقال أنه عاش عمر سبعة أنسر[٣] ، وأنه كان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله

١ــ سورة الأعراف : آية ٧٤.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٨.

٣ــ قال الدميري : النسر طائر معروف وهو عريف الطيور ، ويقول في صياحه (يا ابن ادم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك) كذا قال الحسن =

في الجبل ، فيعيش النسر منها ما عاش ، فإذا مات أخذ آخر فرباه ، حتى كان آخرها لبد ، وكان أطولها عمراً ، فقيل طال الأبد على لبد، ولما رأى هلاكه ، قال: يا لبد أهلكتني نفسك .

وفيه يقول الأعشى :

لنفسك أن تختار سبعة أنسر

إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر

فعمّر حتى خال أن نسوره

خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

وقال لأدناهن إذ حلّ ريشه

هلكت وأهلكت ابن عاد[1]

٣ـ ربيعة بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عبس بن قرادة عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة ، وأدرك النبي ﷺ، وهو الذي يقول وقد جاوز المائتين :

= بن علي عليه السلام ، قال : في هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر ، يقال أنه أطول الطيور عمراً ، وأنه يعمر ألف سنة . بحار الأنوار : ج ٦١ ص ٢٩ـ٣٠.

١ـ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.

ألا أبلـــغ بنـــي بنـــي ربيـــع واشـــــرار البنيـــن بكـــم فـــداء
بأنـــي قـــد كـــبرت ودقّ عظمي فـــــلا يشـــغلكم عنـــي النســـاء

إلى قوله :

إذا عـــاش الفـــتى مائتيـــن عاما فقـــــد ذهـــب اللـــذاذة والفـــتاء

وهو القائل :

أصـــبح منـــي الشباب قد حسرا أن يـــنأ عنـــي فقـــد ثوى عصرا[1]

٤ــ المســـتوغر بـــن ربـــيعة بـــن كعـــب عاش ثلاثمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ، وهو الذي يقول :

ولقـــد سئمت من الحياة وطولها وعمّـــــرت مـــن بعد السنين مئينا
أتـــت مـــــن بـــعدهـــا مأ تـــان لي وعمّرت من بعد الشهور سنينا[2]

٥ــ اكـــثم بـــن صـــيفي الأسدي التميمي ، وكان حكيماً مقدماً ، ولم تكـــن العـــرب تفضـــل علـــيه أحداً ، عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين وهو الذي يقول :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩.

وإن امـــرؤ قد عاش تسعين حجة إلـــى مائـــة يســـام العـــيش جاهل
خلت ماتان بـــعد غشـــر وفازها وذلـــك مـــــن عـــدّ الليالـــي قلائل

وكـــان ممـــن أدرك الإســـلام وآمـــن بالنبـــي ﷺ ، ومـــات قبل أن يـــراه ... وقـــد كتـــب لرســـول الله ﷺ مـــع ابنه كتاباً ، يقول فيه بسمك اللهـــمّ مـــن العـــبد إلى العبد ، فإنا بلغنا ما بلغك ، فقد آتان عنك خبر ، لا نـــدري مـــا اصـــله ، فـــإن كنـــت أريت فأرنا ، وإن كنت علمت فعلمنا ، وأشـــركنا فـــي كـــنزك والســـلام ، فكتـــب إلـــيه رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمـــن الرحـــيم مـــن محمـــد رســـول الله ﷺ ، إلـــى أكثم بن صيفي ، أحمـــد الله إلـــيك أن الله أمرنـــي أن أقـــول لا إله إلاّ الله ، وآمر الناس بها، الخلـــق خلـــق الله ، والأمـــر كلّـــه لله ، خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصـــير ، آذنـــتكم بـــأداب المرســـلين ، ولتســـئلنّ عـــن النـــبأ العظيم ، ولتعلمـــنّ نـــبأه بعـــد حيـــن ، فلمّـــا وصل كتاب رسول الله ﷺ، جمع بني تمـــيم ووعظهـــم وحـــثهم علـــى المســـير معه إليه ، وعرفهم وجوب ذلك علـــيهم ، فلـــم يجيـــبوه وعـــند ذلـــك سار إلى رسول الله ﷺ وحده ، ولم يتبعه غير بنيه وبني بنيه ، فمات قبل أن يصل إليه ...[1] .

٦ــ صـــبيرة بـــن ســـعيد بـــن ســـهم بـــن عمرو عاش مائتي سنة وعشـــرين ســـنة ، ولـــم يشـــب قط ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ؛ روى أبو حـــاتم والرياشـــي ، عـــن العتبـــي ، عن أبيه ، قال : مات صبيرة السهمي

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠.

وله ماتا سنة وعشرون سنة ، وكان أسود الشعر صحيح الأسنان .

فرثاه ابن عمه قيس بن عدي فقال :

مـــن يأمـــن الحدثان بعد صبيرة السهمي ماتا

ســبقت منيــته المشيب وكأن ميتته افتلانا

فــتزودوا لا تهلكــوا من بين أهليكم خفاتا[١]

٧ــ دريــد بــن زيــد بــن نهــد القضاعي عاش اربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة ، فلمّا حضره الموت قال :

القـــى علـــى الدهـــر رجـــلاً ويـــدا

والدهـــر مـــا اصـــلح يومـــا افســـدا

يفســـد مـــا اصـــلحه الـــيـــوم غـــدا

وقال أيضاً :

يـــا رب نهـــب صـــالح حويـــته والـــيـــوم يكفـــي لدريـــد بيـــته

ورب بـــطل قـــرن اردیـــته ورب عـــبـــل خشـــن لديـــته

لـــو كـــان للدهـــر بلـــى ابليته أو كـــان قرنـــي واحـــداً كفيته[٢]

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٠.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٠.

٨ ــ دريد بن الصمة الحبشي عاش دهراً طويلاً ، وسقط حاجباه على عينيه ، وقيل أنه لم يتجاوز مائتي سنة ، وادرك الإسلام فلم يسلم ، وشهد حنين مع هوازن ، وقتل به ...[١] .

٩ــ عمرو بن حممة الدوسي عاش اربعمائة سنة وهو الذي يقول :

كبرت فطال العمر حتى كأنني
سليم أفاع لليله غير مودع
فما الموت افنانـي ولكن تتابعت
عليّ سنون من مصيف ومربع
ثلاث مائين قد مررن كواملا
وها أن هذا ارتجي مرّ اربع
فاصبحت مثل النسر حلّ جناحه
إذا همّ تطيار يقال له قع

... عن مجالد الشعبي ، قال: كنا عند ابن عباس في قبة زمزم، وهو يفتي الناس ، فقام إليه رجل ، فقال: لقد افتيت أهل الفتوى ، فافت أهل الشعر ، قال: قل ، قال: ما معنى قول الشاعر:

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

لـذي الحلـم قـبل الـيوم مـا يقرع العصا

ومـــا عِـــلم الإنســـان إلاّ لـيعلما

فقـال: ذاك عمـرو بـن حممة الدوسي ، قضا على العرب ثلاثمائة سـنة، فلمـا الـزموه قـد رأى السادس أو السابع من ولده ، قال إن فؤادي بضـعة منـي ، فـربما تغـيّر علـي اليوم والليلة مراراً ، وأمثل ما اكون فـيها فـي صـدر النهار ، فإذا رأيتني قد تغيرت فاقرع العصا ، فكان إذا راى منه تغيّراً قرع العصا ، فيراجعه فهمه فقال الملتمس :

(لـذي الحلـم قـبل الـيوم ما تقرع العصا وما عِـلم الإنسان إلاّ ليعلما)[١] .

١٠ــ زهـير بـن جـناب بـن عـبد الله بـن كـنانة بـن عوف القضـاعي، عـاش اربعمائـة سنة وعشرين سنة ، وكان سيداً مخلصاً في قومـه ، ويقـال أنـه كانـت له عشـر خصال لم يجتمعن في غيره ، عن أهـل زمانـه كـان سـيد قومه وخطيبهم وشاعرهم وحكيمهم ووافدهم إلى الملـوك وطبيـبهم ... وكاهـن قومـه وفارسهم وله البيت فيهم وله العدد منهم [٢] .

١١ــ الحـرث بـن مضـاض الجرهمـي أخو إسماعيل عليه السلام من ولـد جـرهم الأكـبر، وجـرهم بن قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشد

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

بن سام بن نوح عليه السلام ، عاش اربعمائة سنة وهو القائل :

كـــان لـــم يكـــن بيـــن الحجـــون إلى الصفا
أنـــيس ولـــم يســـــمر بمكـــة ســـامر
بلـــى نـــحـــن كـــنـــا اهلـــهـــا فـــابـــادنـــا
صـــروف الليالـــي والجـــدود العواثـــر

وهي قصيدة طويلة قد رواها الناس[1] .

١٢ــ الحـــرث بـــن كعـــب المذحجـــي عاش مائة وستين سنة ، وله وصيّة حسنة لقومه وكان على شريعة المسيح عليه السلام وهو القائل :

اكلـــــت شـــبـــابي فامـــضـــيته ... وامضـــيت مـــن بعـــد دهـــر دهورا
ثـــلاث أهليـــن جـــاورتهم فـــبادوا ... واصـــبحت شـــيخاً ضـــعيفاً كبـــيرا
قـــلـــيل الطعـــام عســـــير القـــيام ... قـــد تـــرك الدهـــر خطـــوي قصـــيرا
ابيـــت اراعـــي نجـــوم الســـــماء ... اقلـــب امـــري بطـــونـــا ظـــهورا [2]

١٣ــ الأفـــوه بـــن مـــالك الأودي عـــاش مائتين وثلاثين سنة ، وله وصيّة لقومه ، وقصيدته المشهورة عنه :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.
٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

فيـــنا معاشـــــر لـــن يبـــنـوا لقومهـــم

وإن بنـــي قومهـــم مـــا افســـدوا واعادوا

لا يرشـــــدن ولـــــن يـــــرعوا لمرشـــــدهم

فـــالجهـــل مـــنهم معا والفـــى ميـــعاد[١]

١٤ــ نضـــر بـــن دهمـــان بـــن سليم بن اشجع ، عاش مائة وتسعين ســـنة ، وعـــاوده شـــبابه ، وســـواد شعره ، وصحة عقله ، بعد ما مضى ذلك ، وفيه يقول العباس بن مرداس السلمي :

وراجعـــه شـــرخ الشـــباب الـــذي فاتـــا

وراجـــع عقـــلاً بعـــد مـــا فـــات عقله[٢]

١٥ــ أمـــية بـــن الأســـكر الليثـــي ذكـــر أنـــه عاش دهراً طويلا ، حـــتى خـــرف فمـــرّ بـــه غلام كان يرعى غنمه ، وهو يحثوا التراب على رأســـه مـــن الكـــبر ، فوقف ينظر إليه ، فلمّا أفاق أمية بصر بالغلام قائماً ينظر إليه فأنشأ يقول :

أصـــبحت لهـــواً لراعـــي الضـــان اعجـــبه

مـــاذا يريـــبك منـــي راعـــي الضـــان

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥١.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٢.

أنعـــق بضـــــانك فـــــي نجـــــم تحقـــره

مـــــن الابـــاطح أو احبســـها بحـــدان

أنعـــق بضـــــانك أنـــي قـــــد رعيـــتـــهم

بـــيـــض الوجـــوه بنـــي عـــم واخوان[١]

١٦ــ جعـــثم بـــن عـــوف بـــن خديجة عاش مائتين وخمسين سنة ، وقال:

حـــــتى مـــــتى جعـــــثم فـــــي الأحـــــياء

لـــــيـــس بـــــذي أيـــــد ولا غـــــناء

هـــيهات مـــا للمـــوت مـــن دواء[٢]

١٧ــ أوس بـــن ربـــيعة بـــن كعـــب بـــن أمية الأسلمي عاش مائتي سنة وابع عشرة سنة وهو الذي يقول :

لقـــد عمـــرت حـــتى ملّ أهلي ثوائـــي عـــندهم وســـئمت عمري

وحـــــق لمـــن اتى مأتين عاما علـــيه واربـــع مـــن بعد عشـــر[٣]

١ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٢.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

١٨ــ كعب بن الرداد بن هلال بن كعب عاش ثلاثمائة سنة حتى ملّ! من حياته فقال :

لقد ملني الأدنى وأبغض رؤيتي

وأبنائي إلاّ يحب كلامي

على الراحتين مرة وعلى العصا

أكون ملياً ما أقل عظامي

فيا ليتني قد سخت في الأرض قامة

وليت طعامي كان فيه حمامي[١]

١٩ــ أنس بن نواس بن مالك بن حبيش بن ربيعة ، عاش دهراً طويلاً ، ونبتت اسنانه بعد ما سقطت فقال :

اصبحت من بعد البزول راعياً وكيف الرباعي بعد ما شق بازله

إلى آخر أبياته[٢] .

٢٠ــ ثعلبة بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل ، عاش مائتي سنة وثلاثا وثلاثين سنة ، وهو جد الضحاك ، وهو القائل :

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٣.

لقد صاحبت اقواماً قاموا حفاة لا يجاب لهم دعاء
وقوماً بعدهم نادموني فامسى موحشاً منهم قناء

إلى آخر ابياته[١] .

٢١ــ بحر بن الحارث بن امرئ القيس الكلبي ، عاش مائة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام ، فلم يسلم وهو القائل :

من عاش خمسين عاما قبلها مائة
من السنين واضحى بعد ينتظر
وصار في البيت مثل الحلس مطروحاً
لايستشار ولا يعطى ولا يذر
ملّ العيش وملّ الأقربون له
طول الحياة وشرّ العيشة الكبر[٢]

٢٢ــ ذو جدن الحميري وكان ملكاً ، روى أنه عاش ثلاثمائة سنة[٣]

٢٣ــ قس بن ساعدة الأيادي رحمه الله ، عاش دهراً طويلاً .

١ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٣.
٢ــ كنز الفؤاد : ص٢٥٤.
٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٤.

فـروي أنـه عـاش سـتمائة سنة ، وروي أقل من ذلك ، وكان من عقلاء العـرب وحكمـائهم ، وهـو أول مـن كتب من فلان بن فلان إلى فلان ، وهـو ممـن وحّـد الله تعـالى ، وآمـن بـه ، وأقرّ بعدله وحكمته ، وأنه خلـق العـباد وينشـرهم بعـد الممات ، وهو أول من قال أما بعد ، وأول من خطب بعصا .

وللشعراء فيه أبيات منها ما قاله الحطيئة :

واقـول مـن قـس وامضـى إذا مضـى

مـن الـريح إن مـسّ الـنفوس نكالهـا

وكـان كثـيراً مـا يذكـر رسول الله ﷺ ، ويبشر الناس به ، وآمن بـه قـبل مبعـثه ، وكـان النبي ﷺ يستعلم أخباره ، ويستعيد من الناس مواعظه ، ويترحم عليه ، ويقول أن قساً أمة وحده .

ويُذكر له شعراً :

فـي الذاهبيـن الأوليـن مـن القـرون لنا بصائر

لمـا رايـت مـوارداً للموت ليس لها مصادر

ورايـت قومـي نحوهـا يسعى الأصاغر والأكابر

لا يـرجع الماضـي ولا يبقى من الباقين غابر

أيقنـــت أنـــي لا محالـــة حيث صار القوم صائر[١]

٢٤ــ ســـلمان الفارســـي رحمـــه الله ، وأنـــه عـــاش مائتيـــن مـــن السنين[٢] .

٢٥ــ عمـــرو بـــن العـــاص ، وأنـــه عـــاش في الجاهلية والإسلام مائي سنة ، وأنه قال حين أحس الموت :

مضـــت مائـــتا حـــول لعمـــرو وبعـــده

رمـــته المـــنايا بالســـــهام القواصـــد

فمـــات ومـــا حـــي وإن طـــال عمـــره

علـــى مـــرّ أيـــام الســـنين بخـــالد[٣]

٢٦ــ آمـــد بـــن لـــبد عـــاش ثلاثمائـــة وســـتين سنة ... وأدرك معاويـــة بـــن أبـــي سفيان في حكمه بالشام ، ومما أجاب به معاوية عندما ســـأله عـــن الـــزمان ، قـــال : يوم شبيه يوم ، وليلة شبيهة بليلة ، يموت ميـــت ، ويولـــد مولـــود ، ولـــولا من يموت لم تسعهم الأرض ، ولولا من يولـــد لـــم يـــبق أحـــد على وجه الأرض ؛ ومما جاء في حديثه مع معاوية عـــندما ســـأله فهـــل رأيـــت محمـــداً ؟ قـــال : مـــن محمد ، قال : رسول

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٥٤ــ ٢٥٥.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

الله صلى الله عليه وآله ، قال : ويحك أفلا فخّمته كما فخّمه الله فقلت رسول الله صلى الله عليه وآله...[١] .

٢٧ــ عبيد بن شريد الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة ، وأدرك معاوية في حكمه بالشام وله معه حديث[٢] .

٢٨ــ العوام بن المنذر الطائي عاش دهراً طويلا في الجاهلية، وبقي إلى أن ادرك خلافة عمر بن عبد العزيز[٣] .

٢٩ــ تميم ين ثعلبة بن عطاية الربعي عاش مائتي سنة .

٣٠ــ معد كرب الحميري من آل ذي رغين عاش مائتين وخمسين سنة .

٣١ــ جعفر قرط الجهني عاش ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام وأسلم .

٣٢ــ عوف بن كنانة الكلبي عاش ثلاثمائة سنة .

٣٣ــ هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي عاش ستمائة وسبعين سنة .

٣٤ــ وحصين ين عتبان الزبيدي عاش مائتين وخمسين

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦٠.

٢ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١.

٣ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١.

سنة[١].

وأناس أُخَر يذكرهم صاحب الكتاب ، وكذا في كتاب الإيضاح في الإمامة للشيخ المفيد ، وبحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٥٨ باب ذكر اخبار المعمرين ، وكتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني والآمالي للسيد المرتضى باب ذكر شئ من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ج ١ ص ١٦٧.

هذه مجموعة شواهد لمن طالت أعمارهم فيما مضى من الزمان ، وكثير ما تنقل الصحف والإذاعات ووسائل الإعلام الأخرى عن أناس قد طالت أعمارهم في زماننا ، فقد تجاوز في بعض الموارد المنقولة المائة والستين سنة ، وهذا ما يعادل الضعف للأعمار المتعارفة في زماننا .

فمسألة قابلية إمتداد العمر مسألة طبيعية ، ومتوقعة في كل من كُتب له الولوج في الحياة الدنيا ، فلا إعجاز فيمن طالت أعمارهم ، ولا أنّها خاص بفرد دون فرد ، ولو كانا كلا الأمرين ، أو أحدهما ، لَما تُمني إطالة العمر من قبل الباقين من الناس .

التسليم بالأمر الواقعي رضوخ للحق

١ــ كنز الفؤاد : ص ٢٦١ ، شامل للأرقام من ٢٩ إلى ٣٤.

النقطة الخامسة :

الإمام المهدي (عج)

هل ورد في المهدي (عج) نص ؟

وهل ولد ؟ أم أنه يولد في آخر الزمان ؟

هل ورد في المهدي (عج) نص ؟

نصت المصادر الشيعية والسنية (الخاصة والعامة) على تلك الشخصية ، وتلك النصوص صدرت من صاحب الشريعة (النبي ﷺ) ، المتفق على حجيّة قوله وفعله عند كلا الطائفتين ، فضلا عن باقي الطوائف الإسلامية .

وقول الرسول ﷺ وفعله حجة على كل مسلم ليس مجرد كلام، فإن معنى الحجيّة هو تنفيذ ما يأمر به ﷺ ، والإنتهاء عمّا ينهى عنه ﷺ ، والإعتقاد بما كان يعتقده ﷺ ، فلا مجال للميول والأغراض ... معها ، حيث إن الحال مع حجيّة الرسول ﷺ ليس له طرف ثالث ، فإما أن يؤخذ بكلامه ﷺ ويعمل به ، فيورث رضا الرب ، ونعيم الجنة ، وإما أن تقدم الميول والأغراض ... فيورث غضب الرب وخسران الآخرة .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ**

فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾**[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾**[٣] .

ومما ورد في مصادر الشيعة من تلك النصوص:

عن معمر بن راشد عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من ولدي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته ، فقدمه وصلى خلفه[٤] .

وعن سلمان الفارسي رحمه الله قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه ، الذي قبض فيه ، فجلست بين يديه وسألته عمّا يجد ، وقمت لأخرج ، فقال لي : اجلس يا سلمان فسيشهدك الله عزَّ وجلَّ أمراً إنه لمن خير الأمور ، فجلست فبينا أنا كذلك دخل رجال من أهل بيته ، ورجال من اصحابه ، ودخلت فاطمة ابنته فيمن دخل، فلمّا رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله من الضعف خنقتها العبرة ، حتى فاضى دمعها على خدها ، فأبصر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ما يبكيك يا

١ــ سورة الحشر : من الآية ٧.

٢ــ سورة الأنفال : آية ٢٠.

٣ــ سورة النساء : آية ٨٠.

٤ــ بحار الأنوار : ج ١٤ ص ٣٤٩.

بنـية! أقـرّ الله عيـنك ولا أبكاهـا ، قالـت : وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بـك مـن الضـعف ؟ قـال لهـا : يا فاطمة توكلي على الله واصبري ... ألا أبشـرك يـا فاطمـة ؟ قالـت : بلـى يـا نبي الله ، أو قالت: يا أبت ، قـال: أمـا علمـت أن الله تعـالى اختار أباك فجعله نبياً ... واختارني فأنا سـيد ولـد آدم ، وعلـي سـيد العـرب ، وأنـت سيدة النساء ، والحسن والحسـين سـيدا شـباب أهـل الجـنة ، ومن ذريتك المهدي يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض عدلا ، كما ملئت بمن قبله جوراً [1] .

وعـن عمـار بـن ياسـر ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض غـزواته ، وقـتل علـي عليه السلام اصـحاب الألويـة ، وفرق جمعهم ، وقتل عمـرو بـن عـبد الله الجمحـي ، وقـتل شـيبة بـن نافع ، أتيت رسول الله ﷺ ، فقلـت : يـا رسـول الله إن علـيا قد جاهد في الله حق جهاده ، فقـال: لأنـه منـي وأنـا منه ... ألا أنه أبو السبطين والأئمة بعدي ، من صـلبه يخـرج الله تعـالى الأئمـة الراشـدين ، ومنهم مهدي هذه الأمة ، فقلـت : بأبـي أنـت وأمـي يا رسول الله ما هذا المهدي؟ قال : يا عمار إن الله تـبارك وتعـالى عهـد إلـي أنـه مـن صلب الحسين أئمة تسعة ، والتاسـع مـن ولـده يغيـب عنهم ، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** ﴾ يكون له غيبة طويلة ، يـرجع عـنها قـوم ، ويثبـت علـيها آخرون ، فإذا كان في آخر الزمان يخـرج فـيملأ الدنـيا قسـطاً وعـدلاً ، ويقـاتل على التأويل ، كما قاتلت

١ــ بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٥٠٢ ــ ٥٠٣.

على التنزيل ، وهو سميي واشبه الناس بي[١] .

وعن عطاء بن السائب ، عن أبيه عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي ، حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول : أنا نبي)[٢].

قال النعماني في غيبته : هذه الروايات ــ روايات في الإمام المهدي (عج) ــ تشهد بصحة الغيبة وبإختفاء العلم ، والمراد بالعلم الحجة للعالم ، وهي مشتملة ، على أمر الأئمة عليهم السلام للشيعة ، بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه لا يزولون ولا ينتقلون ...[٣] .

ومما ورد في مصادر السنة من تلك النصوص :

عن محمد بن جعفر ، قال: حدثنا شعبة ، قال: سمعت زيداً أبا الحواري ، قال : سمعت أبا الصديق الناجي يحدّث ، عن أبي سعيد الخدري ، قال: خشينا أن يكون بعد فينا حدث فسألنا رسول الله ﷺ ، قال : فقال : (يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً زيّد الشك . قال : قلت أيّ شيء ، قال : سنين ... قال : يجيء الرجل إليه فيقول : يا مهدي أعطني أعطني ، قال : فيحثي له في ثوبه ما

١ــ بحار الأنوار : ج ٣٣ ص ١٨.

٢ــ الإرشاد : ج ٢ ص ٣٧١.

٣ــ الغيبة للنعماني : ص ١٦٠.

استطاع أن يحمل ...)[١] .

عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي ، فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يرضى عنه سكان السماء وسكان الأرض ، لا تدع السماء من قطرها إلاّ صبّته مدراراً ، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلاّ أخرجته ، حتى تتمنى الأحياء الأموات ، يعيش في ذلك سبع سنين، أو ثمانية أو تسع سنين[٢] .

وعن الفضل بن دكين ، وأبو داود ، عن ياسين العجلي ، عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه ، عن علي عليه السلام ، عن النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة)[٣] .

وعن أبي هريرة ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة ، وسائرهن في النار ، قلت: ومتى ذالك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثرت الشرط ، وملكت الإماء ، وقعدت الحملان على المنابر ، واتخذوا القرآن مزامير ،

١ــ مسند أحمد : ج ٣ ص ٢١ .

٢ــ المصنف : ج ١١ ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ .

٣ــ المصنف لابن لأبي شيبة الكوفي : ج ٨ ص ٦٧٨.

وزخرفت المساجد ، ورفعت المنابر ، واتخذ الفيء دولا ، والزكاة مغرما ، والأمانة مغنما ، وتفقه في الدين لغير الله ، وأطاع الرجل إمرأته ، وعق أمه ، وأقص أباه ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، واكرم الرجل إتقاء شرّه ، فيومئذ يكون ذلك ، ويفزع الناس يومئذ إلى الشام ، تعصمهم من عدوهم ، قلت : وهل يُفتح الشام ، قال : نعم وشيكا ، ثم ذكر بعد فتحها الفتن ، ثم تجئ فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً، حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي ، فإن ادركته فاتبعه ، وكن من المهتدين[1] .

قال العظيم آبادي صاحب كتاب عون المعبود : واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام ، على ممر الأصار ، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر الإسلام ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خرج الدجال ، وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده ، فيقتل الدجال ، أوينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته .

وخرّجوا أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود

١ــ المعجم الكبير : ج ١٨ ص ٥١. وفي كنز العمال ج ١١ ص ١٨٣ــ ١٨٤ / ٣١١٤٤.

والترمذي وابن ماجة والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلي الموصلي ، واسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة وبن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم

وإسناد أحاديث هولاء بين الصحيح وحسن وضعيف ، وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في تأريخه في تضعيف أحاديث المهيدي كلّها ، فلم يصب بل أخطأ [١] .

من هو المهدي ؟

وهل ولد.؟ أم أنه يولد في آخر الزمان ؟

المهدي (عج) الذي نصّت على روايات المسلمين هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن ابن لؤي [لؤي] بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن عابر بن صالح بن بنت إسماعيل بن ابراهيم ...[٢] .

١ــ عون المعبود : ج ١١ ص ٢٤٣ ــ٢٤٤.

٢ــ أنساب الأشراف : ج ١ ص ٢٥.

فالمهدي (عج) قرشي الأصل ، كما هو واضح من سلسلة النسب ، بل ومن ارقى بيوتات قريش وأشرفها .

عن محمد بن المثنى ، حدّثنا غندر ، حدّثنا شعبة ، عن عبد الملك قال : سمعت جابر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله (يقول : يكون أثنا عشر أميراً ، فقال كلمة لم اسمعها ، فقال أبي : أنّه قال : كلّهم من قريش)[١] .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يكون لهذة الأمة اثنا عشر قيّماً ، لا يضرهم من خذلهم ، كلّهم من قريش)[٢] .

وعن سليمان بن عبد الله مولى عامر الشعبي ، عن عامر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا يزال أمر أمتي ظاهراً ، حتى يمضي إثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش)[٣] .

أما إنتسابه لرسول الله صلى الله عليه وآله فعن طريقة ابنته فاطمة عليها السلام ، حيث إن جدّ المهدي (عج) الثامن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والحسين عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (المهدي

١ــ صحيح البخاري : ج ٤ ص ١٧٥. نقلاً عن منتخب الأثر : ص ٤٥.

٢ــ منتخب كنز العمال / المطبوع بهامش مسند أحمد : ج ٥ ص ٣١٢.

٣ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٢٧٤

من عترتي من ولد فاطمة)[١] .

أمّا عن حال ولادته :

المعروف لدى المسلمين أن من عقائد الشيعة ، القول بولادة المهدي (عج) ، ولديهم في ذلك روايات كثيرة تنصّ على ولادته (عج) .

روى علاّن الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي النيسابوري الدقاق ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام ، عن السّياري قال : حدّثني نسيم ومارية قالت : لمّا خرج صاحب الزمان من بطن أمه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبّابتيه نحو السّماء ، ثمَّ عطس فقال : (الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله عبداً داخراً غير مستنكف ولا مستكبر) ، ثمَّ قال : زعمت الظّلمة أنّ حجّة الله داحضة ، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشّكّ [٢] .

ولكن عقائد الطائفة السنية لم تبن على القول بولادته ، فذهب الأكثر منهم إلى أنه يولد في آخر الزمان ، ولا يوجد عندهم نص صريح ـ بأن يقول قد ولد ـ بولاته (عج) عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذلك للفترة الزمنية ما بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وولادة الإمام المهدي (عج)، والمعروف أن الطائفة السنية توقف النص عندها بوفاة

١ـ كنز العمال : ج ١٤ ص ٢٦٤ .

٢ـ الغيبة للنعماني : ص ١٦٣.

رسول الله ﷺ ، وهذا بخلاف ما عليه الشيعة ، حيث ترى أن النص ممتد مع خلفاء النبي ﷺ ما بقوا .

فخلّو المصادر السنية عن نص نبوي صريح بولادة المهدي (عج) طبيعي ، وذلك لسبق زمان وفاة الرسول ﷺ ، زمان ولادة الإمام المهدي (عج) .

لكن هذا لو توقف الكلام على نصّ صريح بالشكل المتقدم ، حيث إن للتصريح اشكال ، وكلّها حجة على من سمعها ونقلها ، فقد نقلوا في مصادرهم أن الأئمة بعد الرسول إثنا عشر ، أو بعدد نقباء بني إسرائيل وكلّهم من قريش ، أو من بني هاشم ، فهنا يقع التساؤل عن هذا العدد من الخلفاء والأئمة ، ومما لا شك فيه أن خلفاء الدولة الأموية وإن إنطبق عليهم أنهم من قريش ، ولكن عددهم تجاوز ما نصّ عليه رسول الله ﷺ حيث بلغ ثلاث عشر حاكماً ، هذا مضافاً إلى أنهم ليس من عترة الرسول ﷺ ، وليس من ولده ، فضلاً عن وضعهم الديني وسيرتهم المعروفة في الأمة ، ونفس الكلام يأتي في حكام الدولة العباسية ، وبذلك يبقى التساؤل من غير جواب .

والحق أن جوابه واضح ، حيث هذه التصريحات من قبل الرسول الأكرم ﷺ ، لا تنطبق إلاّ على خلفائه الحقيقين ، وهم علي بن أبي طالب ، وولداه الحسن والحسين ، والتسعة من ولد الحسين (علي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومحمد (عج) ، الذي هو مهدي هذه الأمة) .

ومن المعلوم أن الثامن من ولد الحسين عليه السلام (الحسن بن علي) الملقب بالعسكري تذكر تواريخ الطائفة السنية أنه توفي في زمن الدولة العباسية ودفن ، وهذا الأمر يدفعنا إلى التصديق بما جاء في مصادر الشيعة من أن الحسن العسكري عليه السلام ولد له ولد قبل أن يفارق الحياة ، وهذا ما عليه الطائفة الشيعة ، وعندها بذلك نصوص صريحة من النبي صلى الله عليه وآله ، ومن جميع الأئمة عليهم السلام ، ولولا محدودية المقام لأبدينا في هذا الموضوع تفصيلا أكثر ، وذلك لأهميته ، وللوضوح المكتنف به ، الذي غطته الميول والأغراض ... ، حيث تُثبت حديثاً ، وتعزب عن آخر ، والله وراء الكل .

وتجد بنا الإشارة لحال ولادته ، وما رافقها ، ولو بنحو يسير .

من الملفت للنظر أنّه لمّا كان جنيناً ، لم ترافقه آثار الحمل وملامحه ، حتى بالنسبة لأمه . فضلا عن باقي الناس ، فلم يعلم بحمله إلاّ أبوه الحسن العسكري عليه السلام ؛ وقبيل ولادته بقليل ، زارت أخت الإمام الهادي عليه السلام حكيمة بيت ابن أخيها العسكري عليه السلام ، وأرادت أن تنصرف بعد ما وصلت رحمها بهذه الزيارة ، فقال لها الإمام العسكري عليه السلام : (أمسي عندنا هذه الليلة ، فعند فجرها ــ ليلة الخامس عشر من شعبان ــ سوف يولد لي مولود مبارك) ، فأجابته عمته : (لا رفض لطلبك ، ولكني لم أر على نرجس أثار الحمل) فقال لها : (سوف يولد عند الفجر) ومكثت المرأة الصالحة، التي منّ الله عليها بالتشرف برؤية الإمام المهدي (عج) ، وقبيل الفجر قامت حكيمة تحملها روحها الخفيفة لمصلاها مناجية

ربها في تلك الساعة ، ومن خلال ركعات صلاة الليل وأدعيتها ، وطوال مكثها في مصلاها كانت تراقب نرجس زوج ابن اخيها ، وهي نائمة بقربها نومة طبيعية ، وما أن ودعت حكيمة ربها في نهاية تعبدها ، تحركت نرجس ناهضة من نومها ، تريد التعبّد بأداء صلاة الليل ، تقول حكيمة : (وليس فيها من آثار الحمل شيء ، فداخلتني الشكوك وإذا بصوت ابن أخي ، ياعمة لا تعجلي ! فان الوقت قد قرب) ، وعادت نرجس إلى فراشها ، وعاودها النوم ، تقول : وبقيت منتبهة أقرأ القرآن ، فقرأت : (ألم ، والسجدة ، ويس) ، وبينما أنا كذلك ، إذا انتبهت نرجس فزعة ، فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، هل تحسين شيئاً؟ قالت : بلى ، فقلت : لها إجمعي قلبك ، ونحن كذلك أخذتنا غفوة فما انتبهنا ، إلاّ وصوت المولود المبارك مرددا هذه الكلمات (أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن أبي أمير المؤمنين ، ثم عدّد الأئمة إماماً إماماً إلى أن بلغ نفسه ، ثم قال : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وأتمم لي أمري ، وثبت وطأتي ، وأملأ الأرض بي عدلاً) ، ونزل المولود طاهراً مطهراً مختوناً [1] .

وها هو مولانا العسكري عليه السلام يطبق السنّة النبويّة في ولده الحجة (عج) بالعق عنه ، وإطعام المؤمنين ، وبالخصوص الفقراء منهم .

١ــ أعيان الشيعة : ج ٤ سيرة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام ص ١٣.

فأمر عليه السلام أبا عمرو عثمان بن سعيد : بأن يعق عن المولود الجديد عدداً من الشياة ، وأن يشتري عشرة آلاف رطلا من الخبز ، وعشرة آلاف رطلا لحماً ، ويوزعه على الفقراء[١] .

وقد وصلت شاة مذبوحة إلى محمد بن ابراهيم الكوفي ، باعتبارها عقيقة عن المولود الجديد[٢] .

وفي اليوم الثالث من ولادته الميمونة أعلن الإمام العسكري عليه السلام عنها لأصحابه ، وعرّفهم إياه ، ونصّ على خلافته وإمامته من بعده، ونصّ على أنه هو القائم ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعَدلاً ، بعد ما تملى ظلماً وجوراً .

ففي المروي أنه جمع أصحابه وخواصه من الشيعة ، وجاءهم بمولوده ، فقال عليه السلام : (هذا صاحبكم بعدي ، وخليفتي عليكم ... وهو القائم ، الذي تمدّ إليه الأعناق بالإنتظار ، فإذا إمتلأت الأرض جوراً خرج فملأها قسطاً وعدلاً)[٣] .

وقد أحيطت ولادته بنحو من السرّية والكتمان ، خوفاً عليه من الأعداء ، ولم يُبلّغ بها إلاّ الخواص .

كتب الإمام العسكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق : (ولد لنا مولود

١ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٤٥٩.

٢ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٤٦٠.

٣ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنّا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته ، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به ، مثل ما سرّنا به والسلام) [١] .

ولعل أوسع إعلان يعلن فيه عن ولادته (عج) يحضره أربعين شخص من أصحاب العسكري عليه السلام ، وقد بلّغ الإمام ما أمره الله بإعلان إمامة المهدي (عج) بعده ، وأنه الحجة على الخلق أجمعين إلى قيام يوم الدين ، وكان وقت هذا الإعلان قبيل وفاة الإمام العسكري عليه السلام وممن حضر هذا المجلس من الشخصيات الشيعية الكبيرة آنذاك ، محمد بن عثمان العمري ، ومعاوية بن حكيم ، ومحمد بن أيوب بن نوح ، وعرض الإمام العسكري عليه السلام ولده الحجة (عج) عليهم .

قال عليه السلام : (هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا)[٢] .

هذا حال ولادته فلم يطّلع عليها ، إلاّ من ضمنت أمانته وقوة شخصيته ، مضافاً إلى إيمانه ، كي لا يتسرب الخبر إلى ضعفاء النفوس ، أو إلى أفراد الدولة ، ويبقى الحال على هذا حتى وفاة والده العسكري عليه السلام ، وإعلان الغيبة الصغرى للإمام الموعود بنشر الدين

١ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

٢ــ كمال الدين وتمام النعمة : ج ٢ ص ٤٦٠.

كله .

عن أبي عبد الله عليه السلام حيث سئل عن سيرة المهدي (عج) ، قال: (يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية ، ويستأنف الإسلام جديداً)[1] .

وشدة الكتمان التي رافقت ولادته (عج) ، تكشف وبوضوح عن مدى أهمية الأمر وخطورته .

أما أهميته فهو الإمام الأخير في سلسلة الأئمة المعصومين عليهم السلام ، الذين هم أو صياء النبي صلى الله عليه وآله في خلافته ، وقد أنيط بهذا الإمام أن يحكم الأرض بدين الإسلام ، ويمحي آثار الجاهلية ، التي وجدت طريقها في العود للمجتمع الإسلامي ، من خلال سقيفة بني ساعدة ، إلى أن تمكنت من المسلمين طيلة العصور والأزمنة ، ويهدم الأديان المزيفة ، المسماة بأسماء الأديان السماوية السابقة كاليهودية ، والنصرانية ، بل كل الديانات المبدعة على وجه الأرض.

وأما خطورته ، فلإقدام السلطة الأموية ثم العباسية على قتل الأئمة عليهم السلام ، بل هي تقدم على قتل وتشريد العلويين لمجرد إنتسابهم لهذا النسب ، وإن كان مذهبهم وطريقتهم غير ما عليه الأئمة عليهم السلام كبعض أولاد الحسن المجتبى عليه السلام ، وأخوة وأولاد زيد الشهيد أخو الإمام الباقر عليه السلام ؛ فعندما يعلم العباسيون بأن للحسن

١ــ الغيبة للنعماني : ص ١٥٣.

العسكري عليه السلام ولد ، وليس له غيره ، يثبت عندهم إن الإمامة منحصرة فيه ، فيلاحقوه ويقتلوه ما دام صبياً ، لعلمهم المسبق بأنه الإمام الثاني عشر، الذي يزيل كل الحكومات الظالمة ، فإن كان في آبائه عليهم السلام كبير الخطر عليهم ، ففيه (عج) هلاكهم المحتوم .

النقطة السادسة:

طبيعيّة طول عمر الإمام المهدي (عج)

قال الشيخ المفيد : (وإن خرج عما نعهده نحن الآن من أطوال عمر البشر، فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه في البشرية ...) .

بعد ما تبين أن الإمام المهدي (عج) ، قد ولد عام ٢٥٥هـ ، ولم يقم بالمهمة التي انيطت به ، من إملاء الأرض قسطاً وعدلا ، وأن يملك الأرض ... ، وقد مرت الأعوام تلو الأعوام ، والأمر سهل للحد الذي يعيشه أبناء تلك الأزمنة ، والذي يقدر بالمائة والعشرين ، فمن زمن ولادته إلى سنة ٣٧٥ هـ يكون بقاؤه حياً مسألة طبيعية ، ولكن لم تر أجيال تلك الأزمنة خروجه وظهوره (عج) ، بل ولم تر الأجيال المتعاقبة بعدها إلى زماننا ذلك ، وبذا يخرج عمر الإمام المهدي (عج) عن العمر الطبيعي المحدد ، فيكون عمره (عج) إلى زمان كتابة هذه الكلمات ما يقرب من ١١٧٠ سنة ، ولعل يستمر الغياب ، فيرتفع هذا الرقم أكثر فأكثر .

وقد تقدم منّا الكلام ، وكان على مراحل ، ومن خلالها تبين أن طبيعيّة العمر مرتهنة بأمور عدّة ، منها: ما هو مادي ، ومنها : ما هو معنوي ، ومنها: ما هو داخل في دائرة إختيار الإنسان ، ومنها ما هو خارج عن دائرته ، هذا مضافاً إلى الأجل الذي قدّره الله سبحانه، الذي يقبل التغير والتبديل ، فما يعيشه الإنسان ضمن هذه الأمور هو

العمر الطبيعي .

وأما العمر الذي يطلق عليه عوام الناس أنه عمر طبيعي للعصر الفلاني ، أو لبلد ما ، فليس من العمر الطبيعي في شئ ، وإنما هو العمر الغالب ، وفرق كبير بين ما هو الغالب ، وما هو طبيعي ، وكيفية التفريق بينهما ، أن العمر الغالب يركن تحت السلوك الجمعي للناس ، وهذا السلوك مما يحويه الخطأ ظهراً على بطن ، حيث يترك الإنسان إبداع الفكر عنده ، ويريح نفسه بما ينتجه السلوك الجمعي ، والملاحظ على السلوك الجمعي ، أنه يسير دائماً على العادات والطبائع الموروثة ، من غير تميّز لصحها من خطائها .

مع أننا حسب ما مرّ علينا من البحث ، رأينا أن الأسباب والعلل المؤثرة لإطالة العمر تحتاج إلى إعمال الفكر ، بالبحث عنها ومعرفتها ، ثم تطبيقها ، هذا بالنسبة للعوامل الداخلة ضمن دائرة الإنسان ، وأما الخارجة عن إرادته ، فهي تعمل على وفق المصالح ، التي لا يعلمها إلاّ الله سبحانه ، الذي يقوم عمله على الحكمة والكمال بأتمهما ، فالعمر الطبيعي لا مجال فيه للغالب من الأعمار ، أو المتعارف في الأعصار والبلدان .

فالعمر الطويل يمكن حصوله ، لأي فرد ، وفي أي زمان ، وذلك ضمن العوامل المؤثرة في إطالته .

ولم تشهد الكرة الأرضية ، والمجوعة البشرية ، رجالا عرفوا بالعلم والفهم والإيمان والإعتقاد أفضل من الرسول صلى الله عليه وآله

والائمة عليهم السلام ، فهم أقرب الناس للوصول لأطول عمر يقدره الله عزّ وجلّ ، هذا لو كنا والأسباب المادية ، أو المعنوية الداخلة في دائرة إختيار الإنسان ، ولكنّا قلنا أن لله سبحانه تقدير في عمر الإنسان ، وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة الكبرى ــ ما يعّم الإنسان والمجتمع ــ ، فلعل المصلحة أقتضت أن يكون عمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث وستين سنة ، وكذا عمر أحد عشر خليفة من خلفائه ، فلم يتجاوز عمر أحدهم سبعين سنة ، مع أنهم راعوا كل العوامل المؤثر في إطالة الأعمار ، ولكن ذلك السير في التقدير لأعمار الأئمة عليهم السلام ، لا يمنحنا ترخيص بأن نقول أن عمر الإمام المهدي (عج) كأعمار آبائه عليهم السلام في القصر ، وإنما عمره (عج) يخضع للعوامل والأسباب المطيلة للعمر الإنساني حسب القاعدة ، مضافاً للتقْدير الإلهي للمصلحة في حياته (عج) ، وكلا الأمرين ممكنا الحصول ، بل وحصلا لغيره من الناس ، كما مرّ علينا في أخبار المعمرين من أبناء البشرية .

قال الشيخ المفيد : (وإن خرج عما نعهده نحن الآن من أطوال عمر البشر، فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه في البشرية وأمثالهم في الإنسانية وما جرت به العادة في بعض الأزمنة لم يمتنع وجوده في غيرها ، وكان حكم مستقبلها كحكم ماضيها على البيان)[1].

١ــ الفصول العشرة : ص ٩٢.

فالمدّ في عمره الشريف غير خارج عن دائرة العمل في إطالة الأعمار ، والمصلحة المقدرة ، والإمكان ، وبذلك يستنتج أن عدم الإقتناع في طول عمره (عج) ليس له مبرر غير الميول والأغراض، فلو كان لغيره من الناس ما كان له (عج) من طول العمر ، لأصبح شاهداً من شواهد المعمرين ، هذا كله من جانب ، ومن جانب آخر ، أن الرسول نصّ على أن خروجه وظهور حتمي ، سواء طال عمره أم قصر .

عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (يكون في أمتي المهدي إن طال عمره أو قصر عمره يملك سبع سنين أو ثمانية سنين أو تسع سنين ، فيملأها قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً ، وتمطر السماء مطرها وتخرج الأرض بركاتها ، قال : وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك)[1].

فمسألة العمر في الإعتقاد بالإمام المهدي (عج) تابعة لوجوده ، وليس لها دخل في مهمته ـ تطبيق الأطروحة الإسلامية ـ السامية ، ومن قبل بقول رسول الله ﷺ بالمهدي من هذه الأمة ، عليه أن يقبل به سواء طال عمره أم قصر .

فالمتحصل أن مسألة إطالة عمر الإمام المهدي (عج) داخلة ضمن إطر علل وأسباب إطالة الأعمار ، وضمن إرادة الله سبحانه ، وقد تبين أن كل ذلك ممكن الحصول ، لإنسان لم يكن من المعمرين

١ـ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي : ج ٨ ص ٦٧٨.

السابقين ، فيكون من المعمرين اللاحقين ، وشاهد حي للمستدلين في هذا المجال .

هذا كله بحسب الوضع الطبيعي في إطالة الأعمار ، فكما هو وارد في الناس كذلك في الإمام المهدي (عج) ، ولكن ذلك لا يمنع من أن العمر الطويل ، إذا وقع ضمن حالة إعجازية يكون إعجازي ، والناظر في الروايات الواردة في مولانا صاحب الزمان (عج) ، منذ ولادته إلى ما بعد ظهوره ، يجد أن الأعجاز هو الغالب عليها ، فروايات ولادته وحمله تحكي ، أن آثار الحمل لم تظهر على أمه رضوان الله عليها ، وكذا الحال في ولادته ، وروايات الغيبة الأولى (الصغرى) حيث علمه بالحوادث والحاجات ، وروايات الغيبة الثانية (الكبرى) وعمره الطويل ، وأنه محفوظ من كل شيء ، وهكذا الحال مع روايات الظهور ، ومعاملته مع أنصاره ، ومحاربة أعداءه .

والصحيح عندنا أنّ الغيبة للإمام (عج) إعجازية ، بإعتبار عدم مغلوبية سببها ، فهي حاصلة للإمام (عج) ، وهو فيها حي يرزق إلى يوم ظهوره ، وبعد ظهوره ، وسوف ينتصر ، ويأتي بيوم العدل ، الذي وعدت به البشرية ؛ ولا يمكن أن يستعاض عن غيابه بسبب آخر ، لورود الإحتمالات المعاكسة على شخص الإمام (عج) ، فلا يبقى محفوظاً ، ولا أنه مجهول وبتقدم العلم يمكن أن يكشف فيبطل ذلك الإعجاز .

النقطة السابعة :

حساب عمر الإمامة

(أمـــا والله ليغيبـــنَّ عـــنكم مهديكم حتّى يقول الجـــاهل مـــنكم مـــا لله في آل محمد حاجة ، ثمَّ يقـــبل كالشـــهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)

الإمام الصادق عليه السلام

أمم ، حضارات ، مجتمعات ، دول ...

يحكي تاريخ الإنسانية عن قيام تلك الكيانات ، وحكايته عنها في ثلاث مراحل اساسية (مرحلة تولدها ، ومرحلة نهوضها ، ومرحلة سقوطها) ، والذي يجمع المراحل الثلاثة ، عمر تلك الكيانات، وقد يستغرق هذا العمر ، أعمار أجيال من أبنائها ، فعمر الأمم والحضارات ... هو عمر مجموع أجيالها ، ولذا يصحّ مخاطبة مجموع أجيالها بخطاب واحد ، بل وكل جيل من أجيالها ، ويؤيد ذلك افتخار جيل أو فرد من جيل بأمته أو حضارته ... ، وإن كان هو من آخر أجيالها ، بل وتفتخر بها الأجيال بعد سقوطها ، لكونهم سكان على الأرض ، التي قامت عليها تلك الأمة أو الحضارة ... .

قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ** ﴾[1] .

فيوجد عمران للإنسان : الأول : عمر لنفسْ حياته ، وهو

١ــ سورة الرعد : من آية ٣٠.

العمر الفردي ؛ والثاني : عمر للأمة والحضارة ... التي يعيشها وهو العمر الإجتماعي .

قال تعالى : ﴿ **بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ** ﴾[١] .

القرآن يعدّ عمر سلسلة الآباء الماضين ، والأبناء الذين كانوا محل الخطاب عمراً واحداً ، وكما أن الإنسان مسؤول عن عمره الفردي ، مسؤول عن عمره الإجتماعي ، فكلا العمرين في ذمة الإنسان ، وعليه صونهما ، والعمل على إطالة أمدهما بكل ما رزق من حول وقوة .

والأمة الإسلامية من بين الأمم التي وجدت على سطح الكرة الأرضية ، وقد حكى عنها رائدها وقائدها ﷺ أن لها اثنى عشر قائداً بعده ، يقومون بها على سيرته ونهجه ، كي يمكنها مواكبة الزمان والأجيال ، في بثّ الصحيح من المعتقد ، والتربية ، والأخلاق ، والثقافة ، والعلوم ... ، ويمكنها دفع أعدائها ، وحفظ نفسها من الأشرار ، الذين يريدون قتلها وطمسها .

وها هي الأمة الإسلامية تعيش عمرها ، وسوف يستغرق ذلك العمر أجيالا من المسلمين ، والجدير بالإنتباه أن لكل عمر أجل ، سواء كان العمر الفردي ، أم العمر الإجتماعي ، فالمسلمون كما لكل

١ــ سورة الأنبياء : من آية ٤٤.

فـرد مـنهم عمـر يخـتم بأجل ، فكذلك أمتهم ، وهذه سنة الله سبحانه في الأفراد والأمم... .

قـال تعـالى: ﴿ **وَلِكُـلِّ أُمَّـةٍ أَجَـلٌ فَـإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[1] .

ومـن المعلـوم أنّ رسـول الله ﷺ قـد أشار في أحاديثه إلى عمر أمـته ، وذلـك مـن خـلال ذكـر عـدد قادة الأمة ـ إثنا عشر إمام ـ بعـده، بـل وفـي بعـض أحاديثه ذكرهم بأسمائهم ، وبذلك يكون مجموع عمر الأمة الإسلامية عمر هؤلاء الأئمة عليهم السلام .

عـن عـبد الله بـن عمـر قـال : قـال رسول الله ﷺ : (إن الله أوحـى إلـي لـيلة أسـرى بي ، أني خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمـة مـن نـور واحد ، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة ، فمن قبلها كـان مـن المقرّبيـن ، ومن جحدها كان من الكافرين ، ثم قال : يا محمد أتحـب أن تـراهم ، فقلـت : نعـم ، فقال : تقدم أمامك ، فتقدمت أمامي ، فـإذا علـي بـن أبـي طالب ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمـد بـن علـي ، وجعفـر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسـى ، ومحمـد بـن علـي ، وعلـي بـن محمد ، والحسن بن علي ، والحجـة القـائم كأنّـه الكوكـب الـدرّي في وسطهم ، فقلت : يا رب من هـولاء ، قـال : هـولاء الأئمـة ، وهـذا القـائم محلل حلالي ، ومحرم حرامـي ، وينـتقم مـن أعدائـي ، يـا محمد أحببه ، فإني أحبه ، وأحب

١ـ سورة الأعراف : آية ٣٤ .

من يحبه)[١] .

والكتب التأريخية تنقل أن أحد عشر إمام قد ولدوا ، ثم ماتوا ، وكان آخرهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وقد توفي في سنة ٢٦٠هـ ، والوقوف عند هذا الأمد من الزمان فيه مخالفة واضحة ، لما نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، في عدد الأئمة من بعده .

ولو بنينا على القول بأن الإمام الأخير في سلسلة الإمامة ، يولد في آخر الزمان ، ففيه من المحاذير ما لا يمكن دفعها ، ولكن نشير إلى واحد منها ، والذي هو محل الكلام ، وهو لو كانت ولادة الإمام الثاني عشر في آخر الزمان ، كيف يكون حساب عمر الإمامة ، التي نصّ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

ومن الطبيعي أنه لا يمكن القول بأن الإمامة توقفت ، عند رحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن دار الدنيا ، وسيستمر التوقف إلى زمان ولادة الإمام المهدي (عج) ، فإنه قول بلا دليل ، بل قول لا يرتضيه العقلاء ، حيث إن العمر للإمامة لا بدّ أن يكون مستمر بلا إنقطاء ، كي يصحّ تسميته بالعمر .

وبذلك يتبين القول الصحيح ، وإن كان بيّن من الأول ، وهو أن الإمامة عمرها مستمر ، ولم ينقطع في يوم ، ولا يمكن أن ينقطع، حيث إن الإمام العسكري عليه السلام ولد له ولد ، وهو الامام الثاني

١ــ الغيبة للنعماني : ص ٥٩ ــ ٦٠.

عشر (عج) في سلسلة الأئمة ، والذي به يتم عمر الإمامة ، التي خلفت رسول الله ﷺ لتطبيق الإطروحة الإسلامية بأكملها ، فينعم الناس بنعيمها ، وتستريح النفوس لسماحتها .

وبذلك يكون عمر الإمام المهدي (عج) ، عمر الإمامة ، وحساب عمر الإمامة واضح ، من خلال نصوص رسول الله ﷺ ، في عدد نوابها ، لا أنها تحسب بعدد السنين والشهور والأيام ، كما يحسب عمر الإنسان الفردي ، أو أجل الدَّين ... .

ولا يزال أن الإمام المهدي (عج) قد شُخصت ولادته ــ سنة ٢٥٥ هـ ــ وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام فما على الناس إلاّ الإنتظار لظهور ذلك الإمام ، كي تتم سلسلة الأئمة عليهم السلام ، وسير عمر الأمة الإسلامية ، والنظر إلى ذلك أولى من النظرْ إلى حساب سنين عمر الإمام المهدي (عج) ، حيث إن المدار على الإيمان بغيبته وظهوره ، وأما عدد السنين ، فتابع لهما ، لا أن المسألة بالعكس .

عن الفضيل قال : سألت أبا جعفر عليه السلام هل لهذا الأمر وقت ؟ فقال : (كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون)[1] .

عن عبد الرحمن بن كثير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم الأسدي فقال : أخبرني ــ جعلت فداك ــ متى هذا الأمر الذي تنتظرونه ؛ فقد طال ؟ فقال عليه السلام: (يا مهزم كذب

١ــ الغيبة للنعماني : ص ٢٨٦.

الوقّاتون ، وهلك المستعجلون ، ونجا المسلّمون ، وإلينا يصيرون)[١].

فمن هذه النصوص وغيرها يتبين أن الوقت ليس له مدخلية في مهمة الإمام المهدي (عج) ، وإنما المهمة كامنة في نفسها ، لاحتياج أبناء البشرية لها ، ولذا الأمل بالمصلح لم يكن من مختصات الأمة الإسلامية بطوائفها ، فاليهودية والمسيحية وغيرهما من له ارتباط بالشرائع السماوية كذلك ، بل وإن الأمر أوسع ، فيشمل كل إنسان ، حيث إن كل فرد يحب أن يرى العدل ، وتوزيع الحقوق ، والأمان ، والإحسان ... منتشر على ربوع المعمورة ، وقد جاءت الروايات تؤكد هذا المطلب .

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (تأوي إليه أمته، كما يأوي النحل إلى يعسوبها ، يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول ، لا يوقظ نائماً ، ولا يهريق دماً)[٢] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (بنا يفتح الله ، وبنا يختم الله ، وبنا يمحو ما يشاء ، وبنا يثبت ، وبنا يدفع الله الزمان الكلب ، وبنا ينزل الغيث ، فلا يغرّنكم بالله الغرور ، ما انزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عزّ وجلّ ، ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها ، ولذهبت الشحناء من قلوب

١ــ الغيبة للنعماني : ص ٢٨٦.

٢ــ معجم أحاديث الأمام المهدي (عج) : ج ١ ص ٢٢٠.

العباد، واصطلحت السباع والبهائم ، حتى تمشي المرآة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلاّ على نبات ، وعلى رأسها زينتها ، لا يهيجها سبع ولا تخافه ، لو تعلمون ما لكم في مقامكم بين عدوّكم وصبركم على ما تسمعون من الأذى لقَرّت أعينكم)[١] .

فإن اهتمّ البشر في حساب شئ ، فهذا الأمر ــ ظهور المهدي (عج) ــ أولى بالإهتمام ، وحساب هذا ليس بالسنوات ، فإن امتدت الغيبة قيل طال عمر صاحبها ، وإن قصرت قيل قصر عمره، بل حساب ذلك في عدد الأئمة الذين خلفوا رسول الله ﷺ ، ولابد من تمام عدّتهم ــ اثنا عشر ــ التي حددها الرسول ﷺ ، حتى يكون في اخرهم حظ قيادة مهمة إصلاح البشرية .

عن صفوان بن مهران الجمّال قال : قال الصادق عليه السلام: (أما والله ليغيبنّ عنكم مهديكم حتّى يقول الجاهل منكم ما لله في آل محمد حاجة ، ثمّ يقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٢] .

وعن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها ، فقلت له : ولم ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم ، وإنّه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم ، قال الله عزّ

١ــ بحار الأنوار : ج ٥١ ص ١٤٢ــ ١٤٣.

٢ــ كمال الدين وتمام النعمة : ص ٣٤٢.

وجل ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ أيّ سنناً على سنن من كان قبلكم)[١] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (وأنّ للقائم منّا غيبتين إحديهما أطول من الأخرى ، فلا يثبت على إمامته إلاّ من قوي يقينه وصحَّت معرفته)[٢] .

فلابد من التفريق في نوعيّة الحساب ، حيث إن الأشياء والأمور مختلفة ، وباختلافها يختلف مقياس حسابها ، واستخدام مقياس من الحساب في غير محله لا يكون إلاّ عن جهلٍ ، أو للمغالطة والإيهام كي لا يظهر الحق والصواب .

فالتفريق في نوعيّة الحسابات ، من مصاديق الفكر السليم ، والقلب الواعي ، والأذن الصاغية .

ونسأل الله أن يمنّ علينا ، وعلى من قرأ هذه الكلمات ، أن يرزقه ذلك ، ويوفقنا لأن نكون في محل رضا إمام زماننا (عج) ، وأئمتنا السابقين عليهم السلام ، ورسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله .

الشيخ نجم السبتي

٢٥/ رجب / ١٤٢٥

١ــ بحار الأنوار : ج٥٢ ص ٩٠.

٢ــ ينابيع المودة : ص ٤٢٨ ــ ص ٤٢٩ .

المصادر

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ مفردات الفاظ القرأن / الراغب الاصفهاني / طبعة اسماعليان ــ قم ــ ايران.

٣ ــ الكافي / محمد بن يعقوب الكليني / الطبعة الثالثة ــ ١٣٨٨هـ / الناشر : دار الكتب الاسلامية ــ آخوندي ــ قم ــ ايران .

٤ ــ بحار الانوار / محمد باقر المجلسي / الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ الناشر مؤسسة الوفاء ــ بيروت ــ لبنان .

٥ ــ الغيبة للنعماني / محمد بن ابراهيم النعماني / طبع ونشر : مكتبة الصدوق ــ طهران ــ ايران .

٦ ــ كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الصدوق / الطبعة ١٤٠٥ هـ / الناشر : مؤسسة النشر الاسلامية التابعة لجامعة المدرسين ــ قم ــ ايران.

٧ ــ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد / الناشر:

دار المفيد .

٨ ــ عيوان أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق / الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ / الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان .

٩ ــ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / الناشر : دار إحياء الكتب العربية .

١٠ ــ الميزان في تفسير القرآن / العلامة الطبأطبائي / الطبعة الخامسة ١٤١٢ هـ ق ــ ١٣٧١ هـ . ش / الناشر : اسماعيليان ــ قم ــ ايران .

١١ ــ تفسير العياشي / النضر بن محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي / الناشر : المكتبة العلمية الاسلامية ــ طهران ــ ايران .

١٢ ــ مجمع البيان في تفسير القرآن / أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الاولى ١٤١٥هـ / الناشر ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت لبنان .

١٣ ــ علل الشرائع / الشيخ الصدوق / الناشر : المكتبة الحيدرية في النجف ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م .

١٤ ــ شرائع الاسلام في الحلال والحرام / المحقق الحلي / الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / الناشر : امير ــ قم ــ ايران .

١٥ ــ توحيد للمفضل / إملاء الامام أبي عبد الله عليه السلام على المفضل بن عمر الجعفي / الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / الناشر : مؤسسة الوفاء .

١٦ ــ الدر المنثور (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس / جلال الدين السيوطي / الطبعة الاولى ١٣٦٥هـ / الناشر : دار المعرفة .

١٧ ــ أعيان الشيعة / المجتهد الاكبر السيد محسن الامين / الناشر : دار التعارف للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

١٨ ــ الاحتجاج / احمد بن علي الطبرسي / الناشر : دار النعمان .

١٩ ــ عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية / ابن أبي جمهور الاحسائي / الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م / مطبعة سيد الشهداء ــ قم ــ ايران .

٢٠ ــ منتخب الاثر في الامام الثاني عشر عليه السلام / آية الله الصافي الكلبايكاني / الطبعة الثانية : مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام ــ قم ــ ايران.

٢١ ــ كنز الفؤاد / المحدث الكبير العلامة ابن الفتح محمد بن علي الكراجكي / الطبعة الثانية / الناشر : مكتبة المصطفوي ــ قم ــ ايران .

٢٢ ــ الفصول العشر / الشيخ المفيد / الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ــ

١٩٩٣م / الناشر : دار المفيد ــ بيروت لبنان .

٢٣ ــ عجائب الملكوت / عبد الله بن محمد بن عباس الزاهد / الطبعة الاولى ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م / الناشر : دار المحجة البيضاء ــ بيروت ــ لبنان .

٢٤ ــ مكارم الاخلاق / الطبرسي / الطبعة السادسة ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٢ م / الناشر : منشورات الشريف الرضي .

٢٥ ــ عيون الحكم والمواعظ / علي بن محمد الليثي الواسطي / الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ ش / الناشر : دار الحديث ــ قم ــ ايران .

٢٦ ــ المزار (مناسك المزار) / الشيخ المفيد / الطبعة الأولى / الناشر : مدرسة الامام المهدي (ع) ــ قم ــ ايران .

٢٧ ــ صحيح الترمذي / طبعة دهلي ١٣٤٢هـ .

٢٨ ــ المعجم الكبير / سليمان بن أحمد نب أيوب اللخمي الطبراني: الطبعة الثانية / الناشر : مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة ــ مصر.

٢٩ ــ المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي / الطبعة الاولى : ١٤٠٩هـ / الناشر : دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان .

٣٠ ــ مسند أحمد / الامام أحمد بن حنبل / الطبعة والناشر : دار صادر ــ بيروت ــ لبنان .

٣١ ــ سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي / الناشر : دار

الفكر ١٤٠٣هـ ـ بيروت ـ لبنان .

٣٢ ـ انساب الاشراف / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ / الناشر : مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان .

٣٣ ـ معجم البلدان / الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية / الشيخ عباس القمي / الطبعة الاولى ١٤١٧هـ / الناشر : مؤسسة النشر الاسلامية التابعة لجامعة المدرسين ـ قم ـ ايران .

٣٥ ـ البيان في اخبار صاحب الزمان

٣٦ ـ خزانة الادب / تقي الدين أبي بكر بن علي عبد الله الحموي الأزراري / الطبعة الاولى ١٩٨٧م / الناشر : دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان .

٣٧ ـ قرى الضيف / عبد الله بن محمد بن عبيد بن شعبان بن قيس / الطبعة الاولى ١٩٩٧م / الناشر : أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية .

٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون / الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعا ـ بيروت ـ لبنان .

٣٩ ـ صحيح البخاري / محمد بن اسماعيل البخاري / طبعة

بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول ١٤٠١هـ / الناشر : دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

٤٠ ـ الغذاء لا الدواء / الدكتور صبري القباني / الطبعة التاسعة عشر ١٩٨٧م / الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

٤١ ـ ميزان الحكمة / محمد ري شهري / الطبعة الاولى / الناشر : دار الحديث ـ قم ـ ايران .

٤٢ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / اسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ / الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

٤٣ ـ لسان العرب / العلامة ابن مظور / الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ / الناشر : نشر أدب الحوزة ـ قم ـ ايران .

٤٤ ـ هذا خلق الله / الشيخ فيصل منصري / الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م / الناشر : دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٤٥ ـ ينابيع المودة لذوي القربى/ الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي / الطبعة الاولى ١٤١٦هـ / الناشر : دار الاسوة .

٤٦ ـ مجمع البحرين / الشيخ فخر الدين / الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / الناشر : مكتبة نشر الثقافة الاسلامية .

٤٧ ــ الدروس الشرعية / الشهيد الاول قدس سره / الطبعة الاولى ١٤١٤هـ / الناشر : مؤسسة النشر الاسلامية التابعة لجامعة المدرسين ــ قم ــ ايران .

٤٨ ــ كنز العمال / المتقي الهندي / المطبعة والناشر : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان .

٤٩ ــ مصنّف عبد الرزاق / أبو بكر عبد الرزاق / الناشر : المجلس العلمي .

المحتويات

مقدمة ٧
النقطة الاولى : العمر ١١
النقطة الثانية : حساب عمر الإنسان ٢١
النقطة الثالثة : العوامل المؤثرة في إطالة العمر ٢٩
السبب الاول : الغذاء ومستلزمتها ٣١
السبب الثاني : البيئة وأحوالها : ٤١
السبب الثالث : أعمال الإنسان : ٦٠
السبب الرابع : الإرادة الخارجية ٧١
النقطة الرابعة : طبيعية طول عمر الإنسان ٧٩
النقطة الخامسة : الإمام المهدي (عج) ٩٩
النقطة السا دسة: طبيعية طول عمر الإمام المهدي (عج) ١١٧
النقطة السابعة : حساب عمر الإمامة ١٢٥
المصادر ١٣٥